اسماء اصحاب الكهف قال ابن عباس رضي الله عنه اسماء اصحاب الكهف تنفع للشفعة [illegible] والطلب
واطفاء الحريق يكتب على خرقة جديدة ويرمى في وسط النار ولبكاء الاطفال [illegible]
[illegible] والحمى المثلثة والصداع ولام الصبيان تشد على عضد الايمن ولحفظ المال [illegible]
[illegible] من العقلى والنجاة من القتل يعلق الاسماء على عضد الايمن واسماءهم [illegible]
مكسلمينا وتمليخا فهؤلاء اليمنية الملك [illegible] يوس الجبار ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش
[illegible] وكان الملك شاور بهؤلاء الستة والسابع الراعي الذي تابعهم واسم الراعي
كفشططيوش ولون الكلب اسمر او اصفر [illegible] الحمرة واسم الكلب قطمير [illegible]

لا تعتقد ان الطريقة الامام الغزالية حق مؤسس بالكتاب والسنة لانه قد انكشف لي في الخلوات
احوال كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن احصائها فعلمت بها يقينا ان طريقة الصوفية
اقوم الطرق وان سيرتهم احسن السير بل لو اجتمعت
عقول العقلاء وعلوم العلماء و
حكم الحكماء الواقفين على حقيقة
الحال على تغيير شيء من طريقتهم
الى ما هو احسن منه لم يقدروا
على ذلك لان احوالهم
مبنية على حكم دينية
مقتبسة من مشكاة
النبوة
متى لم يشاهد الذاكر الحق المذكور هو خلاف الله فليجتهد بالذكر
[illegible]

كتبه الحقير [illegible]
[illegible] محمد بن علي [illegible]

الهي خلقتني ولم اك شيئا [illegible]
وانا [illegible] الهي [illegible]
[illegible]

ملك [illegible] التي [illegible] الحاج [illegible]
تسليمي عروس
١١

مفتي افندي [illegible]

[illegible]

لن [illegible]
[illegible]
[illegible]

قال النبي صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا
وكنوز الارض فردتها واجوع يوما واشبع يوما

وقع بيع الوفا بين محمد بن ادريس اشترى ابريشما بيع الجايز
من محمد بن بابى بسبعمائة وعشرين درهما رايجا مؤجلا
الى ستة عشر شهرا في منتصف شهر ذي الحجة وتاريخ قمر
ثمانمائة وثمانين وعشرين
من تاريخ الهجرى

شهد بما فيه حمزة بن سعيد
شهد بما فيه عيسى ابن موسى
وشهد بما فيه الكاتب موسى بن طاهر

الآن في نوبة العبد الفقير المحتاج الى رحمة ربه المتعال
الشيخ محمد المؤذن ابن علي النعال
عفى عنهما الذنوب بالجلال والجمال
والكمال

دخل في ملك
من كتب الفقير حسين
عفي عنه

حالا في نوبة العبد الفقير المحتاج الى رحمة المتعال
ملا حسين الملقب بن الحاجي احمد البقال
عفي عنهما الذنوب
بالجلال والجمال
والكمال

دستم بزيد خاك چو خواهد شدن تباه
باربيا دكار بماند خط سياه حرره الفقير

سنه ١٧

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من ابتلا ببلاء ظالم او عدو محتال فليضع بانيه
لبنا غير مطبوخ وليقرا عليه احدى واربعين سورة يس
فليصولف كل مرة خطا فاذا فرغ من القراءة القاه
في الحوض ويصلي على شفر الحوض صلوة الجنازة
بنية الجنازة باسم عدوه اهلكه الله تعالى عاجلا

لا اله الا الله محمد رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم حضرتلرينك اعلا ابدكلرى مبارك حديثلرندندر راوى ابو هريره رضي الله عنه در
لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال
الرؤيا الصالحة صدق رسول الله

وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة صدق رسول الله

وقال عليه السلام علماء امتي كانبياء بني اسرائيل حيث قال الله تعالى العلماء ورثة الانبياء

ثم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته فلذلك قال ايضا

من لا شيخ له لا دين له وشيخه الشيطان العياذ بالله من ذلك صدق رسول الله

ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لولا المربي لما عرفت ربي صدق رسول الله
لولا المربي لما عرفت ربي

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان يوسع على نفسه الذي في ملكه فليكتب هذا الدعاء
ويعلقه على نفسه او كتب في منزله او يقرأه في يوم وليلة ثلث مرات بسم الله الرحمن الرحيم
يا الله يا الله يا الله يا رب يا رب يا رب يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام اسألك باسمك
العظيم الاعظم ان ترزقني رزقا حلالا طيبا برحمتك يا ارحم الراحمين
يا [illegible] دعاء الطائعين يا الحق لم يزل [illegible] انك قديم لم يزل يا قوي
[illegible] يوم الخلق حتى [illegible] يا حي [illegible] يا دائم يا حفيظ يا كريم

خطبة

الحمد لله عالم السر والخفيات وكاشف الضر والبليات وغافر الذنوب والخطيات الذي خلق
الموت والحيوة واحيا بقدرته الفناء والثبات وقدر على خلقه الفناء والاموات [illegible]
الاحياء [illegible] الاموات [illegible] الدلايل انه احدي الذات [illegible] الصفات
لا تلحقه فناء ولا آفات ولا يعجزه عناء ولا عاهات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ولا شبيه ولا انداد واشهد ان محمدا عبده ورسوله سيد السادات ومنبع السعادات [illegible]
خلاصة الموجودات [illegible] اعلموا انكم اليوم [illegible] ثم انكم يوم القيمة تبعثون ثم انكم على
الصراط تمرون ثم انكم عن المعاصي تسئلون ثم انكم بعد ذلك تفترقون فريق في الجنة [illegible]
وفريق في النار يبكون فريق في الجنة ما كلون وفريق في النار ماكلون فريق في الجنة آمنون
وفريق في النار نادمون اهل الجنة في الجنة مع الطيب والعمل [illegible] واهل النار في النار مع [illegible]
وانهم يجمعون اهل الجنة في الجنة مع الانبياء يتمتعون واهل النار في النار مع الشياطين [illegible]
اهل الجنة في الجنة الا الله [illegible] واهل النار في النار عند الله [illegible] كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون

[illegible] اربعة اشياء من القشر قشرة الاعلى و
تحته القشرة الخشنة وتحته القشرة المحيط باللب و
تحت القشرة قشرة اخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها
حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا يحصل في الثمرة الواحدة
مع تشاوي تأثيرات الطبايع وتأثيرات الانجم والافلاك [illegible]
من شيخ زاده في سورة الرعد

وقفت وقفا صحيحا وانا
الفقير الحاج محمد اغا زاده
احمد عبد افندي

[illegible] العارف الواثق الذي لا يسكن
[illegible] الذي [illegible]
[illegible]

هذا من ملكي من العطاء
وانا كتبته

الآن ملكت وانا الفقير [illegible]

رسالة تواريخ

قال كعب الاحبار وجدت في كتب الانبياء ان عمر آدم عليه السلام كان الف
سنة ماية سنة وثلثين سنة وعمر نوح صلى الله عليه وسلم الف الا خمسين سنة
وعمر ابراهيم صلى الله عليه وسلم ماية وخمسة وسبعين سنة وعمر اسماعيل صلى الله
عليه وسلم ماية وسبعة وثلثين سنة وعمر اسحق صلى الله عليه وسلم ماية
وثمانين سنة وعمر يعقوب صلى الله عليه وسلم ماية وسبع واربعين سنة
وعمر يوسف صلى الله عليه وسلم ماية واحد عشر سنة وعمر موسى صلى الله عليه
وسلم ماية وثلثين سنة وعمر داود صلى الله عليه وسلم ماية وسبعين سنة
وعمر سليمان صلى الله عليه وسلم ماية وثمانين سنة وعمر زكريا صلى الله
عليه وسلم ماية سنة وعمر يحيى صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين سنة وعمر
شعيب صلى الله عليه وسلم ماية واربع وخمسين سنة وعمر صالح صلى الله عليه
وسلم ماية وثمانين سنة وعمر هود صلى الله عليه وسلم ماية وخمسة وستين سنة
وكان عمر عيسى صلى الله عليه وسلم ثلث ماية وثلثين سنة وعمر محمد صلى الله عليه
وسلم ثلث وستين سنة قال كان بين آدم وبين الطوفان ونوح صلى الله عليه
وسلم الفان ومائتان واثنان واربعين سنة وبين الطوفان وبين هود
صلى الله عليه وسلم ثلثماية وخمسين سنة وبين نوح وابراهيم عليهما السلام
الفان ومائتان واربعين سنة وبين ابراهيم وموسى عليهما السلام سبعماية سنة

كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تعالى اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسله ثانيا صلاة يستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين واستخيره سبحانه وتعالى ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك رابعا ايها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه ولعمري لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم علماء الدين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين سلام الله عليهم اجمعين ولقد اسسته على اربعة ارباع بعون الله المعين

ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات

وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه فقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم واميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب والله ولي التوفيق

فاما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنه متدين واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن

وقف

باطنه وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار

واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب بخمسة امور **الاول** حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه **الثاني** ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه **الثالث** ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه **الرابع** حذف ما كرروه **الخامس** تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبيه له ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تاسيس الكتاب على اربعة ارباع امران **احدهما** وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة واعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام **الباعث الثاني** اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم ابد الآباد فاين منه الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الآماد فنسال الله التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب العلم
وفيه سبعة ابواب

الباب الاول في فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

اما شواهده فمن القرآن فقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان

واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السماوات والارض واي منصب يزيد على منصب من يشتغل الملائكة في السماوات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى وقال عليه السلام خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت ولا فقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسياتي بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برأته عن النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال عليه السلام من حمل من امتي اربعين

حشره الله يوم القيامة فقيها عالما وقال عليه السلام من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال
عليه السلام اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وقال العالم امين الله في الارض وقال صنفان من امتي اذا صلحوا صلح
الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك
لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو
عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق
الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على
الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال فضل
المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير
معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتي زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل
وقال عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل له يا رسول الله
اي الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل اي الاعمال نريد فقال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال
ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث
العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم
وأما الآثار فقد قال علي كرم الله وجهه لكميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه
والمال ينقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال علي العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة
لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم اعداء وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك
وقال ابن عباس خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك
من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان
الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان
الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا باكله فان الجمل اوسع بطنا منه ولا
ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته
العلم واي شيء فات من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا
بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان
غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به لان حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان

غلبة الخوف تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر
تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من يوم كشف
الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم
بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله
علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الي
من احيائها وكذلك عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله تعالى آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي
الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني
العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف
بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع
عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه
فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول
به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوكد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي
الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة
حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم اذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت
كان لك مالا وان استغنيت كان جمالا وقد حكي ذلك في وصايا لقمان لابنه وقال ايضا يا بني جالس العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه
الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال

فضيلة التعلم اما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و
قوله تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **وأما الأخبار** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا
يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال عليه السلام ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع
وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة وقال عليه السلام باب من العلم يتعلمه الرجل خير
له من الدنيا وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسئلوا
فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن
علمه وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل
يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة **وأما الآثار** فقد قال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا
ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا

نا فانني فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجلا
كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدردا لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة
وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع
اي ذباب كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير واعينها
فتهلك وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر موت الف عابد قايم الليل والنهار اهون
من موت عاقل بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رحمه الله طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك
اقرا عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية
وقال ابو الدردا من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله ۞

فضيلة التعليم

اما الآيات فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا واخذ
عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة ۞

واما الاخبار

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس
اعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماوات وقال
النبي عليه السلام اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا
وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملايكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم
المتعدي بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال عليه السلام ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب
بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون و
يضلون وقال عليه السلام من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها
فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
او معلما او متعلما وقال ان الله وملايكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون
على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها
المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما
يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسالون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما
هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال عليه السلام مثل ما بعثني الله به من العلم
والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت
منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طايفة لا تمسك ماء ولا

تنبت كلاء فالاول ضرب مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ضرب مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما وقال عليه السلام اذا مات ابن
آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله
حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي
ويعلمونها عباد الله ۞

واما الآثار

فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل
وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه
فلينظر كيف يدخل ۞ وقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث ولا يساله انسان فقال اكروا لي لاخرج من
هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطا دخلت
على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسالني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل
واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم اي انهم بالتعليم
يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن
يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من آبائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم
يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره
وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل
في التعلم والتعليم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه
جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء
والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة
يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم
مستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار
من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته
بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعدا و ويحرم
يحرمه الاشقياء ۞

الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته
وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل
عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل
وهو الزيادة فاذا اشترك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال
ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن
الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى
وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة

واذا

الحذاقة بالإضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله تعالى وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة فيهما ولولا أن الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة وأما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر إلى وجه الله تعالى وأما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فإن سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل أيضا إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقاربة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لأشياخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها **وأما** فضيلة التعلم والتعليم فظاهر مما ذكرناه فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل وكان تعليمه إفادة للأفضل **وبيانه** أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها وطنا ومستقرا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتألف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها **القسم الثاني** ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات بإعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلها **القسم الثالث** ما هي متممة للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إليه فإنها ثلاثة أضرب إما أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة

وخادمة لها كالحدادة فإنها تخدم الزراعة

على أربع مراتب الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط وأشرف هذه السياسات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه إذ به تقبل أمانة الله تعالى وبه يتوصل إلى جوار الله تعالى وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو أجل خلافة فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون في الإنفاق على كل محتاج إليه فأية رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الفقه والكلام من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين

قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد وتعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال أبو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام وهو قوله عليه السلام بني الإسلام على خمس لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
والعلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وما سوى ذلك فهو فضل

والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلفها العبد العاقل البالغ على ثلاثة أقسام اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحا وكان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن نقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الأعمال التي هي فرض عين وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابسا للحرير أو جالسا في الغصب أو ناظرا إلى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه

شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب تعلمه وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقي إليه الباطل لوجب إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن في حق من يتصدى له وإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه وكيف لا يجب وقد قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما يتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار وإذا تنبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته تجدد عليه لوازم فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فإذا تبين أنه عليه السلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه



بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب

فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فانه لو خلا البلد عن الحجام لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله **واما** ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات **واما** المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه اما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فلتنقسم الى المحمودة والمذمومة **اما المحمودة** فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي اربعة اضرب **الضرب الاول** الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة واثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثالثة وكذلك الاثر فانه ايضا يدل على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك باثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن **الضرب الثاني** الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ غيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متالما بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل بها الفقهاء وهم علماء الدنيا **والثاني** ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول **الضرب الثالث** المقدمات وهي التي تجري مجرى الالات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الالات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا **الضرب الرابع** المتممات وذلك في علم القران فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما

العلم

٨

المتممات في الاخبار والاثار فالعلم بالرجال واساميهم وانسابهم واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات **فان قلت** فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا **فاعلم** ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء آخر والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها امر آخر ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها امر آخر وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مامور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمامور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القران وطريق الاخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال **فان قلت** هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام **فاعلم** ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الاخرة ثلثة الاسلام والصلاة والحلال والحرام واذا تاملت منتهى نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الاخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلثة فهو في غيرها اظهر **اما الاسلام** فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته

ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله
وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر
ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا ينفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من
فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه **واما** الصلاة
فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من اولها الى آخرها
مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كما ان القول باللسان
في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير
فاما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا
عن فنه **واما** الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذ السلطان
منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وقد حكي ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط
الزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في
الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين ولكن
الورع له اربع مراتب **الاولى** الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز
عن الحرام الظاهر **الثانية** ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال
عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب **الثالثة** ورع المتقين وهو ترك الحلال
المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام وقال عليه السلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به
بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة
من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات **الرابعة** ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى
الله خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي
الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهي ورع الشهود والقضاة وما
يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك
وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة
فقط فاذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في الاثم وصفات القلب
واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب
والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر وقد كان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر
يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم

لا يعرفه الرخصة الا بتوقيف من الاصيل

اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل
بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو تلك الاعمال **فان قلت** فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب
ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين
فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي اذ هو
مستفاد من النبوة بخلاف الطب فهو من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة
لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق
الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشاها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة
المنجية في الآخرة والمذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفات
في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا
اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم الآخرة **فان قلت** فصل لي علم الآخرة تفصيلا يشير
الى ترجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله **فاعلم** انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وهو علم الباطن و
ذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى
النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر
وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بساير العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه
شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته
المذمومة ينكشف في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك
حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه
للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان
وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السماوات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم
جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب
القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة
الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب
الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات
فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها
المفهوم من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة

الخلق

في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم
فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى يتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه
وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الاخرة
العلم بكيفية تصقيل هذه المراة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته
وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما يتجلى من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا
فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي ياتي تفصيلها في موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا
يتحدث بها من انعم الله عليه بشي منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي
هو الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله
الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما فان الله لم يحقره اذ اتاه العلم **واما القسم الثاني** وهو
علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضاء والزهد والتقوى والقناعة
والسخاوة ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق و
الاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها يكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها
حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش
وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس
والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس
اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى
والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها
والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب
مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود
هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنه
هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا
بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه
الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سالته عن اللعان والظهار والسبق
والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شي منها وان احتيج لم تخل البلد
عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو المهم نفسه

في الدين

في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض على الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه
والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من
فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام
الفقه ثم لا يرى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء
بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة
واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام
وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين
بتلبيس علماء السوء والله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان
وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي رحمه الله يجلس بين يدي
شيبان الراعي كما يجلس الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسال هذا البدوي فيقول
ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر
بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب ولا سنة فقال
سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء و
الملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي يوما اذا قمت من عندي فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه و
دع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا
صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه **فان قلت**
لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان **فاعلم** ان حاصل ما يشتمل عليه
علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتمل عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع
كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها
الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شي منه مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية
من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القران والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا
فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به
المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا **واما الفلسفة**
فليست علما براسها بل هي اربعة اجزاء **احدها** الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع منهما الا من
يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما
لا لعينهما كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة
الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم **والثاني** المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه و



الجدل وشروطه وهما داخلان في علم الكلام **والثالث** الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته
وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها
بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر وانفردوا بمذاهب
باطلة فكذلك الفلسفة **والرابع** الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم
حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو
شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون
في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات
فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن
تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استيجار البذرقة في طريق الحج بحدوث
ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك
المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه
موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم
يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من
الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة
المجادلة والحراسة فاما معرفة الله وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام
بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية
حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **فان قلت** قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة
العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ
القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين و
علماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه
المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين **فاعلم** ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف
الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة
وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام
والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية
وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو
الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها
فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوف من الصحابة كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن

فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول
اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة
ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام
انما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد
باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجرته
واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس
شيء آخر فلقد كانت شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة
وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو
امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك
والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذبه
عن سنته ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم
فان كل علم عمل فانه مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به
والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب
الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس
ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك اتكون يوم القيمة في حزب عمال
الله تعالى او علماء الله او في حزبهما وتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار خذ ما تراه ودع
شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على انا سننقل من سير فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم
وانهم من اشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الآخرة
كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها
ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم
الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نورد من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس
طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في علمهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه
وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهم الله
وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى
فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربعة
لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان اريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فتشمروا لها وادعوا بها
مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربعة فان معرفتهم

بالفقه ظاهر اما الشافعي رحمه الله فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلاة
وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعي رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي احد اصحابه
وكان يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي رحمه الله غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما
رايته يزيد على خمسين آية فاذا اكثر فماية فكان لا يمر باية رحمة الا سال الله لنفسه ولجميع المؤمنين ولا باية عذاب
الا تعوذ منها وسال النجاة لنفسه وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية
على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن و
يقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في
جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجله وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا
ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعي رحمه الله عن مسئلة فسكت فقيل الا
تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته لسانه مع انه اشد الاعضاء تسلطا
على الفقهاء واعصاها على الضبط والقهر وبه يتبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال يستبين خ
احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم
فالتفت الشافعي رحمه الله الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القايل
وان السفيه لينظر الى اخبث شي في وعايه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى بها
قايلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل
العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب
وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباه في موضع
خارج من مكة فكان الناس ياتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج مرة من الحمام فاعطى الحمامي مالا
كثيرا وسقط سوطه مرة من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه جزاء على ذلك خمسين دينارا وسخاوة الشافعي اشهر من ان يحكى
وراس الزهد السخاء لان من احب شيا امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى
الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله واشتغال همه بالآخرة ما روي ان سفيان بن عيينة روى حديثا
من الرقايق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وروى عبد الله بن محمد البلوي
قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس
الشافعي رحمه الله خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان
حسن الصوت فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر
جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض
الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت هيبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف

عن تقصيري

عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق قعدت على الشط اتوضا للصلاة اذ اعياه
مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في
وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال هل لك من حاجة قلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم ان من صدق
الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك قلت
بلى قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وايتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله
الا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت
من هذا فقالوا هو الشافعي رحمه الله فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا
يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم و
الاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم الآخرة التي هي مستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة
فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه روي انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء
فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي رحمه الله اذا انت
خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت
في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي ره
من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن
مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسال الشافعي عن مسايل في الورع والشافعي يقبل
عليه لورعه فقال للشافعي يوما ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة
فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب ثم مكن
له وامتحن سليمان ثم اتاه ملكا والتمكن افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى
وآتيناه اهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره من العلم في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السايرين الى الله
من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لساير
العلوم فنظر فيها فانه قيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره
ليسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبته في معرفة الله وعلوم الآخرة واما ارادته بالفقه
خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شي
فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله وقال الشافعي ره
ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطئ وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله
عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد
فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات التي

يدل على ارادته الله بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه
فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله وقال احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة
الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما
بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي
حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف
وقال احمد ما احد يمس بيده محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربع سنين الا
وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله تعالى عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك
خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي رحمه الله في مناقب الشافعي رحمه الله

واما مالك رحمة الله عليه فانه ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال
حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد
ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك
فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشا وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام
والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي
ويدل عليه ايضا قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنين وثلثين منها لا ادري
ومن يريد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد
امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يساله فروى على ملأ من
الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب الا متع
بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين ساله وقال هل
لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا
فاعطاه ثلثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا
فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس الى ذلك سبيل
لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها
كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شيتم فخذوها وان شيتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما
اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من اطراف
الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ويدل سخاوه على زهده وقلة حبه الدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد
فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله انه قال رايت على

بابك الكراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت
دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انا استحيي من الله ان اطا تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب
جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه
قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا قال قلت اعز الله امير
المؤمنين ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم يوتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد
حتى تسمعوا مع الناس

واما ابو حنيفة رحمة الله عليه فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا
وجه الله بعلمه فاما كونه عابدا فيدل عليه ما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلاة وروي
حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لاخر هذا هو
الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله تعالى ان اوصف بما ليس في من عبادته واما
زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى
فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة
انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزاينه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله
وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن
شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان
في اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم
يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى
ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل
له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه
وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح له فقيل لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب
لا يصلح للقضاء واما علمه بطريق الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا
وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف من الله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم
الفكر قليل المجادلة للناس فهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله
فهذه احوال الائمة الثلثة

واما احمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله فاتباعهما اقل من هؤلاء وسفيان اقل اتباعا
من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن
فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم
بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في دعواهم ام لا

الباب الثالث فيما تعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

والله الموفق للصواب

وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهو العلم والفقه والتوحيد والتذكير والحكمة
وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها **بيان علة ذم العلم المذموم** لعلك تقول العلم هو معرفة
الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما **فاعلم** ان العلم لا
يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلثة الاول ان يكون مودياً الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم
علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع يستفاد من العلم
بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له
وقت مخصوص في المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بسببها الى الاستعانة بالشياطين
ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست
مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع
وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه
وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر **الثاني** ان يكون مضرا بصاحبه
في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الكواكب محسوب
اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله
يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري
سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر
النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال عليه السلام اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب
بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها انه مضر
باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة
المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا او مرجوا من جهتها
وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان
الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال
النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها
الى مشاهدة الاصبع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق
اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب
هذا احد اسباب النهي عن النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا
ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام

فيما يحكى

فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وانمحى وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب
عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة و
ان لم يقدر اخطا ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك
وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين
الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب
في تخمينه وتارة يخطي ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا وثالثها انه لا فايدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول
لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة للانسان بغير فايدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم
آية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فايدة فان ما قدر
كاين والاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه **السبب الثالث** الخوض في علم لا يستفيد الخايض فيه به فانه مذموم في حقه
كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها و
بالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق
وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بذلك ولو لم يخض في ذلك لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم
ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوات اللطيفة بالطفل الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي
ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين
الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واو
وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن
تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت
وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع
فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة
في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها
على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد يهلكك
في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبياء
اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي
عقله ان يطليها حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد
من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة وفي دقايق سنن الشرع



وادابه وفي غوايله التي تعبدنا الناس بها اسرار ولطايف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا عجايب
عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجايب والغرايب في العقايد والاعمال
وافادتها لصفاء القلوب ونقايها وطهارتها وزكايها واصلاحها للترقي الى جوار الله وتعريضها لنفحات فضله اكثر واعظم
مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن
ادراك ما ينفع في حيوة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات
فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقايد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك
من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي عليه السلام ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم
الاتباع فانك لا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا
ولكنه يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها
بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من الفاظ العلوم

اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى
معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي
محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الان الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف
بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة
الفروع الغريبة في الفتاوي والوقوف على دقايق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا
فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة دقايق افات
النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه
قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق
واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد
من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان
بمعنى واحد وانما نتكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو
نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلام علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابرهيم اي اهل المدينة افقه
فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال عليه السلام الا انبيكم
بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يوئسهم من روح الله ولم يدع القران
رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع
الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه

يقص احد

يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله
علينا فسمى تدبر القران وعد النعم تفقها وقال عليه السلام لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى
للقران وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي
الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد
في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم
الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام
الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس
بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض
والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة
تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع به **اللفظ الثاني العلم** وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وباياته و
افعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره
بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسايل الفقهية وغيرها
فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفة ولا يعدونه في زمرة اهل
العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضايل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وافعاله وصفاته
وقد صار الان يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسايل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء
مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا للخلق كثير من طلبة العلم **اللفظ الثالث التوحيد**
وقد جعل الان عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها
بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون
العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منه شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم
على من يفتح بابا من الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في
اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر اخر لا يفهمه
اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط
فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك
شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضاء والتسليم لحكم الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في
مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال
لما اريد وسياتي شواهد ذلك في كتاب التوكل ان شاء الله وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد عن اللب
من الاخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول ان تقول بلسانك

لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر من تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية يقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين ابايه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنياوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السماوات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى هو المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملايكة سياحين في الهوا سوى ملايكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه من القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروي ان عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحيي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسوال واخرج علي كرم الله وجهه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري

لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمايه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القران قال وهل تنفع قراءة القران الا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القران وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلا ارى به باسا وليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات ومساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا عجب ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمود الى ما اشتمل عليه القران وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكره الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال ذلك الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان اولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين وحضر جماعة باب داره فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هولاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس اصحابي هم الخواص واما الشطح

فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة **احدهما** الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله سبحانه والوصال
المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل
لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما
يحكى عن ابي يزيد البسطامي رحمه الله انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة
فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوى فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات
والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان
يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور
الحق فهذا وفنه مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة
واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع
وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية **الصنف الثاني**
من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان يكون غير مفهومة عند قائلها
بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان يكون مفهومة له و
لكنه لا يقدر على تفهيم ذلك وايراده بعبارة يدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة
ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معان ما اريدت
بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم
وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه
عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره قال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة في غير اهلها
فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير
اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه **واما الطامات**
فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام
كدأب الباطنية في التأويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه
بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام
الله وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه
شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة
له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب
المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه
طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله الق عصاك اي كل ما تتوكأ عليه وتعتمده

مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى
يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم
بطلانه قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي جهل وابي لهب و
غيرهما من الكفار وليس من جنس الملائكة والشياطين مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظه وكذلك حمل
التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور تدرك
بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد
على الخلق ولم ينقل من ذلك شيء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم و
لا يظهر لقوله عليه السلام من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير
امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية ونقلية ولا ينبغي ان
يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن برأيه بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان
وستة وسبعة ويعلم ان جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا
بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من اهل
الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الحق يضاهي
من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل
مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ
وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة
الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات
الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ
الخامس وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف
السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلام
كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ و
احترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج
الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال
هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى
بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون

ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر
الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها
ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه **بيان**
القدر المحمود من العلوم المحمودة اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلثة اقسام قسم هو مذموم قليله
وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه
والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح و
سوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان
من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم (يعني المتوسط) قليله وكثيره ما لا فايدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر
والطلسمات والنجوم فبعضه لا فايدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس
مذموم ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل
منه **واما** القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب
الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد
الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء
والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون
الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الآخرة كما سياتي علامتهم هذا في اول الامر
ويعين عليه في الآخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيها بانبياء الله واوليايه
ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح
لها سواها **واما** العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في
كل علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن احد رجلين
اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت
المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الطهارة
والصلاة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة
من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي
الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء
يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن
وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب
لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال

يتجرع الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدي فاشتغل بعلم
العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان
القلب اذا فرغ من المذموم امتلا بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من
ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة
من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه
مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا هممن به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه
وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدي بكتاب الله
تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وساير علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول و
المحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا
الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم
كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكلما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى
فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب
الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء
ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما
صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء
ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الى انتهاء العمر **واما الحديث** فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح
نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم
وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان
تضيف اليه ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف



والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم **واما الفقه**
فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة امثاله وهو
القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات
واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقايق الامور
من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد
العقايد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد
ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد
تعصبهم اما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور

على نفسه وقد دان عنه جوابا هو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه وأما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل
فيمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس
وهذا ايضا من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم
الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤوا من جانب
اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل
الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على
التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس وأما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها
من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك وان تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل
فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائله وآفاته وهذا
الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه واقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر
فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه
ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة
عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقد كانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها
غير مفيدة في علم المذهب هي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته
على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه
وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا ينصرف همته الى علم
المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال
وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار
وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك
العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين حصلتا
في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم وقال
بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان
الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي
قوم المنطق الا منعوا العمل

الباب الرابع

في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله وفقهاء في احكامه

ومستقلين

ومستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء
لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم
كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا
الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من
هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر
الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم
مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا
انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل
الطلب ومهانة الابتذال واصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين
اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى
والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس
في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام
واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا
الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين
اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما
كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد و
مالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله على الخصوص فترك الناس الكلام
وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله على الخصوص وتساهلوا في الخلاف
مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول
الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه
الآن ولسنا ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرة
لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم
يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين والله ولي التوفيق

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان
الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم
في مسألة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر

المبتدعة

وكما نقل في مسايل الفرايض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما
اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان **الاول** ان لا يشتغل به وهو من فروض
الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب
ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي عاريا ولا
يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون
بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب القربات
الى الله عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب
الثاني ان لا يرى فرض الكفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من
العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من
فروض الكفايات ولو خلا عنها البلد لهلك الناس واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا
الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل
بالمناظرة وفي البلد فروض الكفايات مهملة لا قايم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض
المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربه الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم تجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول
الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه من فروض الكفايات
وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهد للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط
وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله عز وجل بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول
الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهر الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم و
الفقه في ارذالكم **الثالث** ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له
الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والايمة فاما من ليس له رتبة
الاجتهاد وهو حكم جميع اهل العصر وانما يفتي فيما يسال عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه
فاي فايدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواب
عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسايل التي فيها وجهان وقولان لصاحبه لكان
اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك
المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة
او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقايع او ما يغلب وقوعه كالفرايض ولا ترى المناظرين
يهتمون بانتقاد المسايل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر
وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبول ومن العجايب ان يكون المطلب

هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق فيها الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا يطول الكلام فيها والمقصود في الحق
ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول **الخامس** ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين
اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى بصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الريا ويوجب الحرص على
نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه
وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس**
ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره
اذا عرفه الخطا واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر فانه كان يشكره ولا يذمه
ويفرح به ويكرمه وهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امراة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على
ملا من الناس فقال اصابت امراة واخطا رجل وسال رجل عليا كرم الله وجهه فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المومنين
ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطات وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا
تسالوني عن شي وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سيل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان اميرا
الكوفة فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا واعاد الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة
فقال ابو موسى ما قال الحق فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر الان مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال
اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف
يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على
النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف
ويخرج من كلامه جميع دقايق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان
الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى
يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان
ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره
اذ لا يلزمني ذكره ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة
بهذا الجنس من السوال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان
لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها
وان كان صادقا فقد فسق باخفايه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع
اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السوال عنه
واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام
لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات

السلف هل سمعت فيهما ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية
بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن** ان يناظر
من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق
على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية
ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له
ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان
وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة
لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشوف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة والمباراة واستمالة وجوه الناس
هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد
والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة
وكما ان الذي خير بين الشرب وساير الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش
في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة به دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها
في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا
نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة **فمنها الحسد** وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام واحد
يذكر بقوة العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه
عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا اقوال الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة **ومنها**
التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال حكاية
عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع
الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر
والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان
المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وساير انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز
الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل اسم الحكمة والعلم وغيرهما **ومنها الحقد** فلا يكاد المناظر يخلو عنه
وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك
رأسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس

يبقى في الدنيا احد

وغاية

وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين
على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه ادنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس
في صدره حقد لا يقلعه يد الدهر الى آخر العمر **ومنها الغيبة** وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا
على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة
ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن
التعرض لمن يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة **ومنها**
تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء
على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال
هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف
وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم شرعا وعقلا **ومنها** التجسس وتتبع عورات الناس
وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى
البلد فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست الحاجة
اليه حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى
غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطايف التسبب ولا يمتنع عن الافضاح ان كان متبجحا با
لسفاهة والاستهزاء كما يحكى عن اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم **ومنها** الفرح بمساءة الناس والغم
بما يسرهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره
لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يساهمونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضراير فكما ان احدى الضراير
اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرايصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا فيتغير لونه ويضطرب عليه فكره
وكانه شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم
من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رحمه الله العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا ادري كيف
يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان يستتب الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات
فناهيك بالشر شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المؤمنين المتقين **ومنها** النفاق ولا يحتاج الى ذكر الشواهد
في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق و
الاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوادون
بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله من ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن
وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة الحال
ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه

ومناظر يشمر للجدل والكلام باقصى جهده ويبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم يصير المماراة عادة فيه
طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ
الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق
على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة
وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه **ومنها الرياء** وملاحظة
الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي
في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة
سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين
وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون
عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن
بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحد من هذه الخصال
العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال و
الجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول
والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والرحمة
من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقوله ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من
قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر
الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم
عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل
بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب
والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب
الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة
عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك
المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم تتفق له الاصابة لم يطمع في السلامة من الاذلال
بل لا بد من لزوم افضح الاحوال **فان قلت** في الرخصة في المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ
لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب
بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك

على ان

على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى
ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان
حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه
فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون
بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره
وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن
اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك
الريبة فيه ان شاء الله تعالى

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل **الوظيفة الاولى** تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق
ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة
الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس
الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول
على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي
باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات
في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم
والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون
بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون
الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة
ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية
بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل
مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره
الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى
ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون
بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة
يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب
المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا

والمتكبرعليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصاير والابصار **فان**
قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة فان من اوايل ذلك
العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه يرددونه
بالسنتهم مرة ويردونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شي قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور
يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات العلم و
لذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابي العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما
حصل لنا حديثه والفاظه **فان قلت** اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول
واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من
حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح
الوظيفة الثانية ان يقلل علايقه من اشغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلايق شاغلة وصارفة وما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقايق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته
كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فانتشفت الارض بعضه واختطف الهوا
بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره
بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه لا يتسلط عليه ويطلب الثواب
والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه
يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا صلى الله عليه وسلم وقال النبي عليه السلام ليس من اخلاق المومن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره
على العلم ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا
من سبع ضار يفترسه لا يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة
ضالة المومن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كاين من كان ولذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان
العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل
كلما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع
اجزايها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه
في نفسه اذ التجربة تطلع على دقايق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في
قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك
لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شي حتى احدث
لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا

ورآ اختيار

ورآء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران **فان قلت** فقد قال الله تعالى فسئلوا اهل الذكر فالسؤال مامور به
فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك
منع الخضر موسى عليهما السلام عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وبأوان الكشف وما لم يدخل
اوان الكشف في كل رتبة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي كرم الله وجهه ان من حق العالم
ان لا يكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفش له سرا ولا تغتابن
عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس
امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخايض في العلم في مبدا
الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله
ويحير ذهنه ويفتر رايه ويويسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية
عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب
وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد في
عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر
في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان وظايف الاقوياء
تخالف وظايف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية
ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض فيترايا الى الناظر انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك
مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما
يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر
اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلا به
الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته وبمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ
كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه
حتى ينجر الى معصية الله في طلب مرضاتهن فما افلح من قاس الملايكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع
طالب العلوم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر
طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد
منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون
هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد
الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة

الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى

الوظيفة السادسة

ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الآخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي يلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقد العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلعم ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب

الوظيفة السابعة

ان يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا يتبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه

الوظيفة الثامنة

ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد الرياسة والمال ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض الكفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى فهو ساقط القدر

بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة

الوظيفة التاسعة

ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد فالمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والآخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادي الى آخره ومن اول اركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة

البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به الى المطعم والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس
على نهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم
الأديان واشار به الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة **فان قلت**
لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن
ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس
المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة
وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس
ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل
المخلوقات منسوبة الى الله ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه
الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من
عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا
الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه
مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية
الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك
فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده
ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي
تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم
تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط
من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم
طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق الاعتدال في احوال الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي
هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها
اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلام التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب
التي بها يستحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة
كنسبة اولئك الى سالكي طريق الحج او ملابسي اركانه فتأمل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم
يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف
في وظائف المتعلم **بيان وظائف المرشد المعلم** اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء
الاموال اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحالة ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحالة انفاق على

نفسه فيكون به منتفعا وحالة بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حالة طلب واكتساب
وحالة تحصيل يغني عن السؤال وحالة استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحالة تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم
فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل
به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة
المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قال الشاعر ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق ومهما اشتغل بالتعليم
فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان يجريهم
مجرى بنيه قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصد انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين و
لدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما
حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد
الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض
ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق
في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون
الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا
يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل
لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة
صاحب الارض اذ يتقلد به منة منه وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر
الا من الله تعالى كما قال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم للبدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم
اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك
هو الانتكاس على ام الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر
كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصدهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون
المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع
المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض جارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره
فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي ان يقول غرضي من التدريس نشر
العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات **الوظيفة الثالثة** ان لا يدخر من نصح

المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان مطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمها الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر او آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يرد الى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله تعالى ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان به وقد قيل لسفيان الثوري رحمه الله وقد رؤي حزينا ما لك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا

الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة

الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه وسلامه حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان هاهنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء

عن شيء

٦

عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم عمن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق من منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا تعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصددها وملأ قلبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس

في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ويروى عنه انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجم بلجام من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الائمة المضلين وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد

حرم السعادة ان لم يدرك السعادة واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون
منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء
وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس
اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد
الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم
فايقظوه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه
والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلثة
عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا وانشدوا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال
اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما
يدور الحمار في الرحا فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف
عذاب العالم على معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعلوا
اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في قصة بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة
او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك
الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى
فهذه الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء
الآخرة ولهم علامات **فمنها** ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل الدرجات بالعالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها
وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت احديهما
اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت
من الآخر وانهما كقدحين واحدهما مملو فبقدر ما يصب منه في الآخر يفرغ من هذا فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها و
امتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء
من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا
للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء
ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب
العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود عليه السلام ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي

يا داود

يا داود لا تسئل عني عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما
يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت
القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم
العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون
ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة
الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية
وبيوتكم كسروية واثوابكم طاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية
فاين المحمدية وانشدوا وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح
فسد وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال لا اشك ان من يكون الدنيا اثر عنده من الآخرة انه لا
يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من
ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان
يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث
وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثوري
فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلوات الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس موتى
الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمن الداراني
اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي
لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من
اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم
بالسنة وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم
القيامة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل
اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى
القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء انه عليه السلام قال اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون
لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم
احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤن لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران وروى الضحاك
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر

به

تمنا فلا يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيد اثرها حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم عليه السلام فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما ورد عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب للفتيا فيفتي بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد ليبشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا

ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وجاهل عابد وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار

خيار

خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تأتيها وقيل لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابراهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله وقال ابراهيم بن ادهم اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلاث بهن يهدم الزمان احداهن زلة عالم وقال ابن مسعود سيأتي زمان على الناس تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة وتطفأ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعملوا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهو في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون يؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول اليكم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود

ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية
والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى
حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود انزل القران ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل
القنا ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء والجايع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا يجدها
ففي مثله يقال ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القران **ومنها**
ان تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال
فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثلا مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى
فواته فاشتغل بالسوال عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه
وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني من غرايب العلم فقال ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم
قال هل عرفت الرب قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرايب العلم بل ينبغي
ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة
قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسايل
١ قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسايل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق
فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي
٢ معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
٣ الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق
فرايت كل من معه شي له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع
٤ معي شي له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى لي عنده والرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب و
الشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شي ثم نظرت الى قول الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما
٥ والخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن
٦ قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عني ثم السادسة
نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده
٧ واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدوي فتركت عداوة الخلق ثم السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد
منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت
٨ اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده ثم الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم كلهم متوكلين
هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي فقال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور والفرقان

العظيم فوجدت هذه الثمان مسايل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الاخرة
واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الله الانبياء كلهم وقال الضحاك
بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام **ومنها** ان يكون غير مايل الى الترفه
في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يوثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع
ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان
من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثماية وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام
فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها
لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري
فلما جينا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة
واسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد
الرازي وسال وحاتم قايم فاوما اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم فقال وما هي قال مسلة اسالك عنها
قال سلني قال قم فاستو جالسا حتى اسالك فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني به قال عن من قال عن اصحاب رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن
قال عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال حاتم ففيما اداه جبريل عليه السلام عن الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله صلعم
الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا وكانت سعته اكثر كان له عند الله
عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله
عز وجل المنزلة قال حاتم فانت بمن اقتديت بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى
بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه فخرج



من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيا منه فسار
حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل اعجمي احب ان تعلمني مبتدا ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضا للصلاة
قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا فقال حاتم مكانك حتى
اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا ثم غسل الذراعين اربعا فقال له الطنافسي يا هذا
اسرفت قال حاتم فيماذا قال غسلت ذراعك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف
فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه
بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا
اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا
اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال

نفر القوم جهلهم وتمنع جهالك وتبذل لهم شيئك وتكون من شيعتهم اسا فاذا كنت كذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله
اهل المدينة فقال يا قوم ايه مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله حتى اصلي فيه
قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطي بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما
كان لهم بيوت لاطية فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول
هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقال
مدينة الرسول عليه السلام فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة
فانتم بمن تاسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنا بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم
وسياتي من سير السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام
ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من
مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من
خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع
القميص المعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سياتي بيانه وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن
انس رحمهما الله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الاولين والاخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس
اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم و
ضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس فاتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة
مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام
عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة
خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني اكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس
على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم
ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف
ان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل
هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات
واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية
الخشية التباعد من مظان الخطر **ومنها** ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار
عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو
عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم
وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف

لو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا

في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب الحلال
والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء
الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن
وقال عليه السلام سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد بري ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل
افلا نقتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن
قيل وما هو قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال النبي عليه السلام العلماء امناء
الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش
لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث
الباقي لا يفلح منهم الا قليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال
الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال النبي صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين
ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القران وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار
جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير وقال وكنت اسمع
انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت
نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو
من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان
بالرخص وما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن
كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال وكان
يغشى السلطان فقعد عنهم فقال له بنوه ياتي هولاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني اجيفة
قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مومنا مهزولا احب الي من
ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل
على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من
دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة
مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعاير الشرع
الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء
وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا
هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين
فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن

السلطان

عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه وكيف يستتب طلب غناه ومخالطته ولم يزل السلف
مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما
لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين ❊ **ومنها** انه لا يكون متسرعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا
ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه
قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان
تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت
حيث لا يدري لله فليس اقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر
اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما
يستفتونه لمجنون وقيل جنة العالم لا ادري فاذا اخطاه اصيبت مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من
عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم
ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسالوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السوال
من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي
اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري
العالم هو الذي يخاف عند السوال ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت وكان ابرهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم
تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على اثنين وثلثة والنفر اليسير فاذا
كثروا انصرفوا وقال عليه السلام ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير
البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل عليه السلام فساله فقال لا ادري حتى اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد وشرها
الاسواق وكان ابن عمر يسال عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة وكان
في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن
الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم احد يسئل عن حديث
او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى اخر حتى تعود
الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهم في غاية الضر فاهداه الى اخر واهدى الاخر الى اخر هكذا
دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز
من تقلد الفتوى ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة
والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة
والتابعين في خمسة اشياء قراءة القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله
صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في كثير من نجويهم الاية

ورأى بعض

ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الراي من اهل الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والراي فكره وجهه
واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها
اهل بدر فلم يزل السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه
فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد
واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المنفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن
الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما و
فلان اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان
الى ابي الدرداء وكان قد اخا بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي قد بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا
فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس
اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى
صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من
حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسالوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم **ومنها**
ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة
فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقايق علم القلوب وتنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل
الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع
حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة
مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي
الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء
من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين
وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا
وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان ادراك قلب من له قلب
بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القران يخطر على قلب المتجردين للذكر
والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا
ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة
ودقايق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من
حسن العمل وفي وصف هولاء العلماء قال علي كرم الله وجهه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني

نحو

ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال
العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته
وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون
ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بلى اجد لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب
الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحجته على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة
له لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهم الانعام
السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله
وبيناته وكم واين اولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى
يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما
استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه
ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره اخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي [illegible] من العمل والمواظبة على المجاهدة

ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله
ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا
منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم
لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته
العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية
لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد
نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن
الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه
فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان
لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات الاول
ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك
فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين
مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على
هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز
اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا

الثالث

الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو خطر لتأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك
مع معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا
لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها
ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطاء امامه نفر عن قبوله الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك
فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء
هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم
اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة
العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا
جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم
فالموجودات كلها حادثة وان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمؤدي الى المحال محال فيلزم
في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديما
وبعضها حادثا فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير
سبب فيثبت القسم الثاني او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل
كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق الاسم
عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك الاصطلاح
الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان
ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق
بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون
في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك
على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما
رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من
شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب
المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة
والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين
في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء و
الجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك
تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود يوشع مع انك لا تشك

في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين
وكذلك تدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة
مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال
واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر فكذلك قد يكون العالم قوي اليقين
في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قويا اليقين في بعضه **فان قلت** فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته
وقلته وخفاءه وجلاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني
ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه **فاعلم** ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره فهو من مجاري اليقين
فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض
امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الواسطة مسخرة
لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة
ازال عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه بمنزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع
فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو
ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات
بامره حسب تسخر القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضاء والتسليم وصار بريا من الغضب
والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها واليقين بان ذلك يأتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد
حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان
من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب
كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طلب الشبع
فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يتجنب قليل السم وكثيره فيتجنب قليل المعاصي وكثيرها
وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا
اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين
اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك
وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز
يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال
مطرقا متأدبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على
سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين

ظاهره

ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة
وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان
المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل
وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن **ومنها**
ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه
ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة
والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء وسيماء الصالحين و
العلماء فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن
والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة
كما قال سهل التستري عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا
بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد
بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر
خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا
من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو
العلم النافع وفي الاثر من آتاه الله عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون
جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون
بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة
بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا
في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني من ذلك بشيء واني لا اقبل
من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله
تعالى اليه قل له الآن وافقت رضائي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ
بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهو احق بالمقت من ذلك الشرطي
وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب
ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب اذا نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل
فاي الناس اعلم قال اشدهم خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فاي الناس
شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيامة
اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا

وقال علي كرم الله وجهه في خطبته ذمتي رهينة وانا به زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من
لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما
سالما بكر فاستكثر من ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان
نزلت به احدى المبهمات هيأ حشو الراي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات
خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم يبكي منه الدماء وتستحل بقضاياه الفروج الحرام ولا مليء
والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت لهم النياحة والبكاء ايام الحيوة
وقال علي كرم الله وجهه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة
وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على المعلم العقل
والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة
قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها
وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره
ولا زاجره وما ينبغي ان يقف عنده ينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل
القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا
فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس
آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك
واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب
انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
ومنها ان يكون اكثر بحثه في علم الاعمال عما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي
من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة
على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس
الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع
صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقع ذلك فانما يقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم
آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول
والتقرب من الخلق على القرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من
الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العا
ملين

وفوز

وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابة
اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات
النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن اين اخذته قال من حذيفة ابن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم
بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت اسأله عن
الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول
الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا
العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر الصحابة
رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه
هل يعلم به شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر
فالعناية بمقامات القلب واحواله دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم
لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال
الطرق شتى وطرق الحق مفردة • والسالكون طريق الحق افراد • لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم • فهم على مهل يمشون قصاد •
والناس في غفلة عما يراد بهم • فجلهم عن سبيل الحق رقاد • وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر
والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على
الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون
فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم
يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق
الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب
ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره
وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول عليه السلام لم فعله لا بد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال
والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان
شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان
يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت
الفقه وقرأ على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس و
العين وما جاءنا عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال

رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرائن فلو بعهم امورا ادركت بالقراين فسدد هم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ
فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطأ واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب
والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين
من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون
كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما
كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم و
همهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القران خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع
اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابو بكر لذلك فجمع القران في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك
تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا
بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدث مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال
المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب
علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل والمتكلم عالما والقاص
المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم تكن سيرة الصحابة
وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة
مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر
علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا اضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن
بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت
ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد
الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف و
المناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف
والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس و
مكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم
بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي كرم الله وجهه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث
بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم
بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل للجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل

ذو الرأي

ذو رأي سوء يزعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا
اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعو الى دنياه وصاحب هوى يدعو الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسال عن
افعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدي فاحسن
الكلام كلام الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة
وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت
خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة
ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور
وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض
فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا
تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من
غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان
يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك
الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك
التلحين في الاذان والقران ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب
مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم
زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس
لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب
معناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم عما
احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من
الخير ان يعمل حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب
فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة
العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد
كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من
احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله ما غش امتك
قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله

مشغلعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى وذروا الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادتهم اين شاؤوا فان قلت من اين عرف قائل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك وان يكون حظك من هذا العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكار ذلك للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء وقال سهل التستري رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسايله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او عن سماع غيبة

و يتبع من الله محمد عليه الصلوة والسلام ... قومه الى الحق لانهم قوم ما ضل بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ... فقبول كلهم عند الله تعالى

... ولهذا قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ... [illegible]

ادعى سكوت

ادعى سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما ولكن تامل ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له ورداء وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا يغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع
في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا فقال واوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من

على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى و
ما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم
القايم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري
انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وعن
ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان
ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم
قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكان نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل
شتى فاذا كان يوم القيامة قسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم
قال جد الملايكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد المومنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة
الله اوفرهم عقلا وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة
قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من
العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة
وعدة وان آلة المومن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم
غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل
ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه
ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المومنين
العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المومنين الى الله من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه
فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به
ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار
ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطا فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين
مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف
الذي به يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية
وهو الذي اراده الحارث المحاسبي رحمه الله حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وكانه نور
يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن

(هامش: ودعامة بيته عبادته)
(هامش: ان يطلب)

بنفسه

العلوم

العلوم والنايم يسميان غافلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية
والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة
ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجرا العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهايم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحيوة
ويقال لا فرق الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد
منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا لغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة
فكذا مفارقة الانسان للبهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمراة التي يفارق غيرها من الاجسام في
حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيات وصفات بها استعدت للروية
فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الروية ونسبة القران والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم
لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة **الثاني** هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل
المميز بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه
بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه
لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث**
علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به
يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا **والرابع** ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور
ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن ساير الحيوانات فالاول هو الاس
والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم
التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه
العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام
ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه السلام اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب
محارم الله وادّ فرايض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنال بها من ربك القرب والعز
وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال
العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته
فقال عليه السلام وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا
دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة
وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان

(هامش: يقال حنكته التجارب والامور اذا احكمته صح)

الحسنه ثمرة العلم فيكون كالمجاز لعين تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة
والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة
في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من
خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شي
جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت
الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم
وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل ادمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها
كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض
فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون
وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر
وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان تذكر صورة كانت حاضرة الوجود في القلب لكن غابت
بعد الوجود والاخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من
مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الايات ويتعسف في تاويل التذكر
واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والايات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى
ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار
فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة
يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصر
الظاهر قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي
كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمى الكل روية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق
به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليها والله ولي التوفيق بفضله

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام
من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني
وهو العلم الضروري بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون
الشخص في مكانين وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل ما يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما
الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى

تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت يتطرق لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك
بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا
كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه
التفاوت في العلم المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة
المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة
ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة
وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به
العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة
لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي
غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل
فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد **فاما القسم الثالث**
وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكره عاقل فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة
الادراك ويكون سببه اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت في الممارسة **اما الاول**
وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس
ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى
ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوايله يخفى خفا يشق ادراكه
ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور
البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه
بالتدريج والايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة
بل تظهر شيئا شيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في
هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد
السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من احاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة
ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم بعد تعب طويل من المعلم
والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل ينبعث من نفسه حقايق الامور دون التعليم يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين اذ يتضح لهم في
باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله
عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش

ماشئت فانك ميت واعمل ماشئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملايكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع للصوت بحاسة الاذن ومشاهدة للملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لايليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ووليا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقايقه كان تقيا وانقسام الناس الي من ينتبه من نفسه ويفهم الي من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والي من لا ينفعه التعليم والي ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا لاختلاف النفس في غريزة العقل ويدل علي تفاوت العقل من جهة النقل ماروي ان ابن سلام سال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظيم العرش وان الملايكة قالت يارب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتي كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الي المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا علي ان يقرروا عندهم انكم اخطأتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمي به عندهم واما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله عز وجل ويعرف صدق رسله صلى الله عليه وسلم فكيف يتصور ذمه وقد اثني الله تعالي عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا تلتفت الي من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل ما نريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي تميز بها الادمي عن البهايم حتى ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم اخر

كتاب العلم والحمد لله حق حمده وصلواته علي سيدنا محمد

والديتلوه كتاب قواعد العقايد

ع فمعلوم ان العقل اعظم من العرش

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد

وفيه فصول اربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي مباني
الاسلام فنقول الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي
صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم
عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء صحبه
الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من
القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم في ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له متفرد لا ند له
وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم
لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضي عليه بالانقضاء تصرم الاماد
وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن **التنزيه** وانه ليس بجسم
مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام
ولا انه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا
يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار
ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستوي على العرش على الوجه الذي
قاله وبالمعنى الذي اراده استوا منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول
والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون
في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا
الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو
مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد فهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل
قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء تعالى عن ان يحويه مكان
كما تقدس ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان

وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض
بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول
مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة** وانه حي قادر
جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت
له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلايق مقهورون في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد
بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا
تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر
في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في
ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا
يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان
طاعة او عصيان الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة
خاطر بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا
قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون
ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء
في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل
ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع
بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام
يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات
الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه متكلم آمر ناهي واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق
فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القران والتورية و
الانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القران مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم
قايم بذات الله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار
ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذ كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والقدرة والعلم
والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله
على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه
الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن

وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا
وانشا بعد ان لم يكن شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته
ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام
والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم
بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم
الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات
وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيايه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه
ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاوا به

معنى الكلمة الثانية

وهي شهادة الرسول
عليه السلام وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع
الا ما قرره وفضله على ساير الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم
يقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والاخرة وانه لا يتقبل ايمان
عبد حتى يوقن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سوال منكر ونكير وهما شخصان هايلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه مهيبان
عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت وان يومن
بعذاب القبر وانه حق وحكمه وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويومن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم
انه مثل طباق السماوات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يوميذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل
ويطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح
صحايف السيات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله ويومن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
احد من السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المومنين
فيساقون الى دار القرار ويومن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم تشرب منه المومنون قبل دخول الجنة وبعد
جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلا من العسل حوله
اباريق عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب
والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من يشاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن
شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويومن باخراج الموحدين عن النار
بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويومن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير المومنين كل
على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المومنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مومن بل يخرج منها من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر
ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار

وشهدت

وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله تعالى
كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني

في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم ان ما ذكرناه من ترجمة العقيدة
ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيا فشيا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم
الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان
من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد
التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي
والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره
وقراة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه وبما يرد
عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم
وسيماهم وهياتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب
كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه
من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي
ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر اجزاوها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة
يكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين
ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل
كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد
تقليدا ولا فرق بين التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شي والاستدلال بالنظر شي اخر بعيد عنه ثم الصبي
اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع
اجلاف العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد **فاما البحث** والتفتيش وتكلف نظم
الادلة فلم يكلفوه اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الاخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس
عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا
لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر
الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات
الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وساير العلوم
اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسالة

فان قلت فتعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قايل
انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قايل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على

العيان ولانه افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم ذهب الشافعي رحمه الله ومالك واحمد بن
حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف قال ابن عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله
عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من
اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان
الشافعي رحمه الله سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص
الفرد وقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه
فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني قال
الشافعي رحمه الله حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ
في الكلام وقال احمد بن حنبل رحمه الله لا يفلح صاحب كلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث
المحاسبي رحمه الله مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل
الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة
وقال مالك ارأيت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل
البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تأويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام
تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم
من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان
ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ
الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون
والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى احتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو العرض والجوهر وهذه الاصطلاحات الغريبة
التي لم تعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم
عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على
هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق وصفاته
كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشغب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك
محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع
من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك
من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان اي حجة وبرهان وقال فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الى قوله
فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وقال

تعالى قالوا

تعالى
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله او لو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن
من اوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي البعث قوله تعالى قل
يحييها الذي انشأها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن و
الصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي
كرم الله وجهه اذ بعث ابن عباس رضي الله عنه الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار
ارأيتم لو سبيت عائشة في يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا
ورجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية
وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت انا في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله
هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكوة ولنا
ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت
والله انها مني زلة فيقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس والتخاذه صنعة
فيقال اما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة اذ لم يكن البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية الحام الخصم واعترافه وانكشاف
الحق فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر المحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها واما
عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة
التي لا يتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كانت نادرة وتشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع
الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد
السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكره الفريقان فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق
القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي
لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة
عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في
وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق عليه القول
بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور و
كاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا على اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى
والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال
او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات و
تحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص
فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تأكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم

على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزال اعتقاده باللطف
في أسرع زمان إلا إذا كان نشوؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليهم الأولون والآخرون لم يقدروا على
نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك
الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله لك الغطاء فيعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من أن يفرح
به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا
ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب
الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك
أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز
ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك
الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور وفي أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام
بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامي



ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي
قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام
من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم من تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته
فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة
وتفصيله أن العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق
الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك
بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر
في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين
إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين
من مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا من وقع له شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ
والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة
بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ
والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها
المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت
البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا
لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه

بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه
في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين
فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه
وينتظر قضاء الله فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك
الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات
والأكوان وعن الإدراكات والخوض في أن الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو
ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير
تلك القواعد وزيادة أسولة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام
يزيده الإطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخاطر والخاطر آلة الدين كالسيف
آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع



ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد والشخص الذي ينتفع به
والذي لا ينتفع **فإن قلت** مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع والآن فقد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة
فلا بد وأن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق بالقضاء والولاية وغيرهما وما لم
يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة
ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فإن الحاجة لم تكن ماسة إليه **فاعلم**
أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن
ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر
الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال أحدها التجرد للعلم والحرص
عليه فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع
بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالث أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا
تكون الشهوات غالبة عليه فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على
إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك
أن الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل
في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فإذا
قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي رحمه الله وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي
نبهنا عليه وأن ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة

التي تعبد الخلق بها وكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبه وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه ودرك الأسرار
التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن
شوائب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك
البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله **مسألة** فإن قلت هذا الكلام مشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار
وبعضها جلي يبدو أولاً وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من
أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن
والسر والعلن واحد فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين
تلقفوا في أوائل الصبى شيئاً وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقٍّ إلى شأو العلى ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال
صلى الله عليه وسلم إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوماً جمة لو وجدت لها
حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وقال عليه السلام ما حدث أحد قوماً بحديث لم
تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن
من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفها إلا العالمون بالله الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً فليت شعري إن لم يكن ذلك سراً منع من إفشائه لقصور الأفهام عن دركه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره
لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل
الأمر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا
صلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقاً بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين
لم يكن خافياً بظواهره على غيره وقال سهل التستري رحمه الله للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسع إظهاره
إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لأحد وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر
بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف بطل العلم وللعلماء بالله سر لو ظهر لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان
النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك
الورع النبوة **مسألة** فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن
فإن الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن
الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي
واحداً فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض
هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل
إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب
لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك

خيال

خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر
فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها
إليهم ترجع إلى خمسة أقسام **الأول** أن يكون الشيء في نفسه دقيقاً يكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص
وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله إذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح وكف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا
تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد
أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأدب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في
صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلا الظواهر للأفهام
من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علماً
وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا
ذكرت للصبي والعنين لم يفهمه إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق والمخالفة بين
علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات
نفسه مما هو حاضر له في الحال أو مما كان له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال
فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل
وأشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت
كما أثنيت على نفسك وليس المعنى به أني عاجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم
ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ولنقبض
عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات
الله ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره
القسم الثاني من الخفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر
بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منع أهل العلم به عن إفشائه من هذا القسم ولا يبعد أن يكون ذكر بعض
الحقائق مضراً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا
والمعاصي والشرور بقضاء الله وإرادته ومشيئته حق في نفسه وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة
والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو أفشي لأوهم عند أكثر الخلق عجزاً
إذ تقصر أفهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان
مفهوماً ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفاً من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب
قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى

فيكون مثالاً لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشي بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل
الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد
الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان
ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير فطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك ومن هذا قول الشاعر
رجلان خياط وآخر حائك ... متقابلان على السماك الاعزل ... لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل ... فانه عبر عن
سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه السلام
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه معظما
ورمي النخامة فيه تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله عليه السلام اما يخشى الذي يرفع راسه قبل
الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته
لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود
دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف
الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي بان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انه كناية عن القدرة التي هي سر الاصبع وروحها الخفي وكنى بالاصبع عن القدرة
لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشي قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود
فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه
على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية و
ان معنى الماء هو القران ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتمل شيا كثيرا وبعضها شيا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر
فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الاخرة من
الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر وبالله التوفيق
القسم الرابع ان يدرك الانسان الشي جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت
العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة
او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال
له فكذلك في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع
اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وساير الاحوال ثلثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه
بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والاخر بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم
الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها

ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شي منه باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام **القسم**
الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقايق يدرك
السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان
الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى
ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين
والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرة بالضرورة ومضطرة الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من
شي الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر الى ان يقدر للجماد حيوة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق
تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله
كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير و
كمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شي الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم
اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال
ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء والراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل
شي شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر رزقه وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم
المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام
لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وكذلك المخاطبات
التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء زعموا
ان كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك
خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه يقول انه حسم باب التاويل
الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد
نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول
ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر عن الضبط
وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت
حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة
الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهره ومنعوا من التاويل وهم الاشعرية
وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى تعلق الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن
بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات

والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى
هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الجزم ورددوه الى آلام عقلية روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد
وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهولاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا
الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم
اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة
هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل رحمه الله والان
فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن
للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة واذ رايناان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم
لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع
من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية
وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب

الفصل الثالث من الكتاب

في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها فنقول بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعايم الدين وجنبهم زيغ الزايغين وضلال الملحدين ووفقهم
للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول
بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين فجمعوا في القبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق
بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طايل ومحصول اذا لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول
وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان بناء
الايمان على هذه الاركان وهي اربعة وتدور كل ركن على عشرة اصول ٭ الركن الاول في معرفة ذات الله ومداره على عشرة اصول
وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقايه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه يرى وانه واحد
الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة اصول ٭ وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث
وانه قديم الكلام والعلم والارادة ٭ الركن الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانها مكتسبة
للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البري ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع
وان بعثة الانبياء جايز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات ٭ الركن الرابع في السمعيات وهو اثبات الحشر وعذاب
القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة ٭

فالركن الاول

من اركان الايمان معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول معرفة وجوده تعالى واولى ما يستضاء
به من الانوار ويسلك من طرق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا

وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن
نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون أانتم تخلقونه
ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين وليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات
وادار نظره على عجايب خلق الله في الارض والسماوات وبدايع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن
صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي
الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا
اله والعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولين سالتهم من خلق السما
والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في
فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من
بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب ٭ اما قولنا الحادث
لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث هو مختص بوقت يجوز في العقل تقدمه وتاخره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر
بالضرورة الى المخصص ٭ واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلوا عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلوا
عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوي ٭ الاولى ان الاجسام لا تخلوا عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة
والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وتفكر فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا
والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما
لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه
والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس ٭ والثالثة
قولنا ما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك
الحوادث بجملتها لا ينتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات
لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا
ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر و
محال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا
بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه
كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة ٭

الاصل الثاني العلم بان الباري تعالى قديم لم
يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شي وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن

ولب
تقديره
وافتقار
يعوزه

ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى المحدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والباطن والظاهر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شي يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شي بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وبطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمى جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطيا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مولف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المولف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر والجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشي آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى ليس بعرض قايم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا يعقل الا لموجود قايم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قايم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شي بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شي واني يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته **الاصل السابع** العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منتكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة

الضد — الحيز

والجهة حادثة

والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن اي بان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له تحت اذ تعالى ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السوال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن** العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما يودي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام او كيف سال موسى الروية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء اولى من الجهل بالانبياء واما وجه اجراء آية الروية على الظاهر انه غير مود الى المحال فان الروية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الروية به وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم بغير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساميه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا والثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

الركن الثاني في العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شي قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او من انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني** العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسماوات صادق في قوله تعالى وهو بكل شي عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف

حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء — وليس في جهة — التطريف طرف الثوب

والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية
والتعريف الأصل الثالث العلم بكونه حيا فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر
دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك
انغماس في غمرة الجهالات الأصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته و الغمرة كثرة الماء
صادر عن إرادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له
أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد
المقدورين ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغني عن القدرة حتى
الضمير الخفي يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه الأصل الخامس أنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير و
خفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا
والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أشرف وأتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة
مهما وقع النقص في جنبته والكمال في خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبرهيم عليه السلام على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيا فقال له
أي زائلة لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله
تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا
بلا أذن إذ لا فرق بينهما الأصل السادس أنه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت
بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات
كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حتى قال قائلهم
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لساني حادث ولكن
ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء
قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات إليه قلبك فلله سر في إبعاد بعض العباد ومن
يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد أن يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون
وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر وكمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن
عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وإن عقل كون السموات
السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة
من غير أن تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا
في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق لحل ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق
الأصل السابع أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت
التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات

ولا يزال

ولا يزال في أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبت نعت الحدث
للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا أن كلامه قديم
قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق
ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة
له ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله اخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت معرفته بذلك
الطلب وسمع لذلك الكلام القديم الأصل الثامن أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته
ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام
ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى
الأصل التاسع أن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي
إذ لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيف ما قدرت
فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن تحدث إرادة بغير إرادة لجاز
أن يحدث العالم بغير إرادة الأصل العاشر أن الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بإرادة ومتكلم بكلام
وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم
لك فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذ
لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم
عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الإضافات

الركن الثالث

العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله
وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته
تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون
خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات أبدان العباد فالحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر
أي منفردا تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف
الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب
هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات الأصل الثاني أن انفراد الله سبحانه باختراع
حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خالق القدرة والمقدور جميعا وخالق الاختيار والمختار فأما
القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له وأما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصف
وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فسميت باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة

بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خالقاً للعبد وهو لا يحيط علماً بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل
الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب
وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدرة الله في الأزل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلاً بها وهي
عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها **الأصل الثالث**
أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر
إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية
والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بيشاء وم
ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ويدل من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هي جارية على وفق إرادة إبليس لعنه الله مع أنه عدو
الله فالجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة
لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستمر له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته
والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين
علواً كبيراً ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى صح أنها مرادة له فإن قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الأمر غير الإرادة
ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر عبده بفعل ويخالفه بين
يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمراً لما كان عذره عند السلطان ممهداً ولو كان مريداً
لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه وهو محال **الأصل الرابع** أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول
بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والآمر
والناهي وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد الأمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما آجل كما يقال يجب على العبد
أن يطيع الله أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب الماء حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي عدمه يؤدي إلى محال كما يقال وجود المعلوم
واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلاً فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله المعنى الأول فقد عرضه للضرر وإن أراد به
المعنى الثاني فهو مسلم إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثاً فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فإنه
إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فأما أن يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم
للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الألباب **الأصل الخامس** أنه يجوز على الله
سبحانه أن يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافاً للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به ولأن الله تعالى أخبر نبيه أن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه
في أنه لا يصدقه وهل هذا إلا محال وجوده **الأصل السادس** أن الله إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن
غير ثواب لاحق خلافاً للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال

على الله فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب
من جهة الآدميين لم يتقدمه جريمة فإن قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله فنقول من
زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر
بكونه واجباً عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب
الأصل السابع أنه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه شيء بل لا
يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه عن مسألة نعرضها
عليه وهو أن نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلماً وبين بالغ مات مسلماً فإن الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب
بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعة
فيقول الصبي أنت أمتني في الصبا فكان يجب أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر
دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن
الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون أما علمت أنا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فإنا رضينا بما دون منزلة
الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال
فإن قيل مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحاً لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح
ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء قبيحاً عند شخص حسناً عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه
ويستحسنه أعداؤه فإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يمكنه التصرف
في ملك الغير وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشه يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة أهل
النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء والقادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح وأما الحكيم
منا يراعي الأصلح نظراً لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء أو في الآخرة ثواباً أو يدفع عن نفسه به آفة ورقة وكل ذلك على الله محال
الأصل الثامن أن معرفة الله وطاعته واجب بإيجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافاً للمعتزلة لأن العقل إن أوجب الطاعة
فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فإن العقل لا يوجب العبث وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود
وذلك محال فإنه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان وإما أن يرجع إلى غرض العبد وهو محال
لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب بها وينصرف عن الشهوات بسببها وليس في المآل إلا الثواب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة
ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا لأحدهما به اختصاص وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع
ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ
بأحدهما دون الآخر فإن قيل فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فإذا قال المكلف للنبي إن
يعني الاسكات العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدى إلى إفحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف
يثبت في موضع من المواضع إن وراءك سبعاً ضارياً فإن لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا

صدقك عالم الغيب ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل وتعرضه للهلاك ولا ضرر فيه
على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفوا صدقي
بالالتفات الى معجزتي فمن التفت وعرف واحترز نجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما
على البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل و
الطبع يستحث على الحذر من الضرار ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل
لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على
ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة ﻫ **الاصل الخامس** انه ليس يستحيل بعثة
الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فايدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى
الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة
الاصل السادس ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرايع اليهود والنصارى
والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء
ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا للسبي والنهب والقتل ولم
يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس
للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم الاخبار
ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان
كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي عليه السلام نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين
يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك
ففعل ذلك الملك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت ﻫ

الركن الرابع السمعيات

وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول وبالله التوفيق
الاصل الاول الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة
بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها
اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو
ممكن كالابتداء الاول ﻫ **الاصل الثاني** سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن
اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء
الميت وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه من الآلام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه ﻫ **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد الشرع به
الشرع

قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن السلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل
الطير فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها ﻫ **الاصل الرابع**
الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا
بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب والفضل في العفو وتضعيف الثواب
الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط ﻫ
الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله لا يسال عما
يفعل وهم يسالون ﻫ **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم
ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد
ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة ﻫ واما تقدير النص على
غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق للاجماع وذلك مما لم يستجرئ على اختراعه الا الروافض واعتقاد
اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة
اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يودي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن
معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالايمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب
واحد ولم يذهب الى تخطية علي ذو تحصيل ﻫ **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل
ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء عليهم اجمعين اخبار وانما يدرك دقايق الفضل
والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم
عن الحق صارف ﻫ **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب
قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف
للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد للحق ﻫ **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة
فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط
التي اثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام
وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة
والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا
لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده انه هو الفضل العظيم

الفصل الرابع

في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه
ثلث مسايل **مسئلة** اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به
يلازمه فقيل انهما شي واحد وقيل انهما شيان لا يتواصلان وقيل انهما شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب
المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلثة مباحث
بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث الاول لغوي والثاني
تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث الاول** في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت
بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو
القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك
الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء
الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن اطلاق الشرع والحق فيه ان
الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل واما الترادف
ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام
الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام لما ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله وبالبعث
بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي
حديث سعد انه عليه السلام اعطا رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم
فاعاد عليه فاعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ايضا انه سئل عليه السلام فقيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقال اي
الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو
افضلها والاسلام هو تسليم بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال إتمام
لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان
عبارة عن التصديق بالقلب فقط فهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال
التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى
لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله
تعالى قالت الاعراب امنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فصل احدهما عن الاخر ويريد بالاختلاف تفاصل المسميين واما التداخل فموافق
ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب

وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السايل
اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن
التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو
جايز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير
قوله بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
البحث الثالث عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنياوي اما الاخروي فهو الاخراج من
النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم
على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان و
من قايل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة
الدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكباير فعند هذا
قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين منزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما
سنذكره الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي
رحمه الله العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات
اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل
قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكباير والقايل بهذا قايل بعين مذهب
المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل
فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات او زنا ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة
وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة
قلنا طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شي من الاعمال الشرعية فاضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي
بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا الدرجة الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان
ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول
هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان
فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله وملايكته واليوم الاخر كما سبق الدرجة الخامسة
ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه
عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان
يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان
ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق

الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قايلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد
وابتداء شهادة والتزام والقول الاول اظهر وقد غلا في هذا طايفة المرجية فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل
النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك
في انه في حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالايمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع
عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنياوي فيما بينه وبين الله و
ذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث
في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى او نكح مسلمة ثم صدق هل تلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال الحكم الدنيا
منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه
وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة
من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان
كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب لله كالصلاة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو
استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة
فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح
من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم
عمومات القران اما المرجية فقالوا لا يدخل المومن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون ولقوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما
نزل الله وقوله كلما القي فيها فوج عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا ولقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات
ونفي ولقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يوميذ امنون والايمان راس الحسنات ولقوله والله يحب المحسنين وقال تعالى
انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الايات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق
ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم
وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيية فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد
من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح
في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مومن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصليها الا الاشقى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى
شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي فيها فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الاية وقع للاشعري وطايفة من
المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني

لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله وان منكم الا واردها ثم قال ثم
ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل اية ذكر العمل مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا
فجزاوه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك
وكذلك قوله يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات
بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان
الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل
له ومتمم كما يقال الراس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك
يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ
ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابة
ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مومن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا
ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية **مسألة** فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان
يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود
العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل
هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص موجود والشي لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته
وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف
حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قايم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة
ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه **الاول** انه يطلق
للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد
عقدة على القلب تارة يشتد ويقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا يستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته
في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا تخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذا النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم
وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يوثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يوثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم
ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال عليه السلام فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص
وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور
القلب مع اوقات الفتور وادرك التفاوت في السكون الى عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد
حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة
وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على

الخدمة وهكذا جميع صفات القلب يصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالآخر وظن آخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمى وزاد حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الآية **الاطلاق الثاني** ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون شعبة وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني واذا ادخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه مؤثر فيه **الاطلاق الثالث** ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت

مسئلة فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول آمنا وبين ان يقول انا مؤمن وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شاء الله فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب فلا اقبل لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امؤمن انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات

فالجواب ان هذا الاستثناء

صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك **الوجه الاول** الذي لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن ذم لم يحسن الاستثناء **الوجه الثاني** التادب بذكر الله في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله فقد ادب الله نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر



الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال اما العمل فقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدايد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقال هم درجات عند الله وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها

احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه برئ منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر
منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو
خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه برئ منه فقد قيل للحسن البصري يقولون لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو
هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال هو او غيره لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا
يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الاخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين
الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني برئ من
النفاق احب الي من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج
وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة
ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي عليه السلام كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء
وقد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه
سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على
القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف
يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات وكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه
جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا
في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال
عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم
اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان
وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار
والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثناء
واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون

الوجه الرابع

وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الاعمال
السابقة لانه موقوف على سلامة الاخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين
كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات
تمام الصحة ووصفه بالصحة قبل اخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين

لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليه احد من البشر فخوف الخاتمة كخوف
السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى
وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف
بالله ما من احد يامن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة دعوى
الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة
لاخترت الموت على باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد
خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم
فهو جاهل وقيل في قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى ولله
عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة
عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسال عن الصوم الماضي
الذي لا شك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه
لا يطلع عليه الا الله فمن هذا حسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط
الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان وهي
اخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله اعلم ✿ اخر كتاب قواعد العقائد ويتلوه بعده كتاب اسرار الطهارة

كتاب اسرار الطهارة

من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا
لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلاة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى اله الطيبين الطاهرين
صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل افة اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة
وقال مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطهور نصف
الايمان وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور
تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقائه
مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات
والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والاثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما
سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر
ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم

لأنهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشر الأخير الظاهر بالإضافة إلى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيال العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في أمر الظاهر حتى إن عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الأشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبريل عليه السلام أن عليهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم نعالكم وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات بل هكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف القدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فإن قلت أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال

غلاف القدم

غلاف القدم والإزار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحا في نفسه فلا يخفى إذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فيفعل به ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيره منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزيين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات إليه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال إني إذا لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري رحمه الله لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تنظر إليه فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف فالناظر إليه معين له على الإسراف فكانوا يجدون من جلاء الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسات فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجانبين وليقس بهذا المثال نظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأنا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

القسم الأول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة

الطرف الأول في المزال

وهي النجاسات والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء الحيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل إليه الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه وأما أجزاء الحيوانات

قسمان احدهما ما يوطا منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا
ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث
والبول نجس من سائر الحيوانات ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار فهو معفو عنه
ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ
به الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا تخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه
او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او في ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما يترشح منها من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنه
بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسله وفي معناه ما يترشح من الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج
او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك
ان امر الطهارات على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا اصل لها

الطرف الثاني

في المزال به وهو اما جامد واما مائع اما الجامد
فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء منها الا الماء ولا كل
ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان
لم يتغير وكان قريبا من مايتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه
صار نجسا عند الشافعي رحمه الله هذا في الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة
وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جرى الماء اقوى من جرى النجاسة
فما فوق النجاسة طاهر وما انحدر عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق
هذا مذهب الشافعي رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس
اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان
اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر بهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر
عصر الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء
والذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء
والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم بظن قريب فاذن عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول
وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل
الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها ولم تكن تنزل في الابار والرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير
نجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة
مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب
نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية
القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رحمه الله انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين

الجاري الراكد

الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات
ام لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد اختلاطا
بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ قضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمائع والماء
واحد والاختلاط اشد من المجاور السادس انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه
وهو قليل فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال الحمام تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع
ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي
النجسة والطاهرة كانت تتواردها عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله عليه السلام
خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من
جهته فكما نرى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن
يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار
وقد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره
كما صار ذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر
الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل واما قوله عليه السلام لا يحمل
خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال اراد به انه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة
ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه الى صفته
كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي ينقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها
ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت فقد قال خبثا ومهما كثرت
حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى
الجملة ميلي في امور النجاسات الى المساهلة فيما من بين الاولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه
من هذه المسائل

الطرف الثالث

في كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس
فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما
يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة
يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متوالية يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة
بيقين فما لا يشاهد نجاسة عليه ولا يعلمها يقينا تصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات والله الموفق

القسم الثاني

طهارات الاحداث وفيها الوضوء والغسل والتيمم وتتقدمها الاستنجاء فلنورد

آداب قضاء الحاجة

كيفيتها على الترتيب مع اذابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة ينبغي
ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل

الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان تستر في الصحراء براحلته
جاز وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجر المثمر ولا في الجحر وان يتقي الموضع الصلب ومهاب
الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على رجله اليسرى وان كان في بنيان فيقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى
في الخروج ولا يبول قايما قالت عايشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه راني
النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل قايما وفيه رخصة لما روى حذيفة انه عليه السلام بال قايما قال فاتيته بوضوء فتوضا
ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس ولا يستصحب شيئا عليه
اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبث الخبيث الشيطان الرجيم
وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة
وان يستبري من البول بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما
يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يوذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس
وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي
حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي حتى الخراة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغايط
او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر
واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرايحة يكون بالبادية والاقعاء هاهنا ان يستوفز
على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه متسترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع شدة حيايه ليبين للناس

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجي لمقعدته بثلثة احجار فان انقى كفى والا استعمل
رابعا فان انقى استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل
موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى الموخرة ويأخذ الثاني ويضعه على الموخرة كذلك ويمره الى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره
حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة او الموخرة اجزاه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر
بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلثا في ثلث مواضع او ثلثة احجار او في ثلثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان
حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك
الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصا
فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسات للفضلات الباطنة
ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ
من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحايط او بالارض ازالة للرايحة ان بقيت والجمع بين
الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاهل قبا ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر

كيفية الوضوء

اذا فرغ من

الاستنجاء

الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغايط الا توضا ويبتدي بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان افواهكم طرق للقران فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي بالسواك تطهير فمه لقراة الفاتحة وذكر الله في الصلاة وقال عليه السلام صلاة عندهم
على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال عليه السلام ما لي
اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا بالسواك حتى
ظننا انه سينزل عليه فيه شي وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه السواك
يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان يستاك بخشبة الاراك
او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل
وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما تكره رايحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة
الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة
الا ان يكون صايما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم غرفة لانفه ويستنشق ثلثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه و
يستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم اوجد لي رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء
الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن
في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان على طرفي الجبين فانهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما
يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الما
الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازي الاذنين من مبتدا اللحية ويجب
ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض
الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه السلام فعل ذلك ويامل
ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليايك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم
تسود وجوه اعدايك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالي
وردهم العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء كذلك الخبر قال عليه السلام من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية
تبلغ مواضع الوضوء ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني
كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمدهما
الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم
لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف
على الاذنين استظهارا ويكرر ذلك ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم

يمسح رقبته لقوله عليه السلام مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل
رجله اليمنى ثلثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على
الصراط يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف
الساقين فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا إله إلا
أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم
ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة ويكره في الوضوء أمور أحدها أن يزيد على الثلث وأن يسرف في الماء
توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء وقال عليه السلام سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال
من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال إبراهيم بن أدهم يقال أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن إن شيطانا يضحك بالناس في
الوضوء يقال له الولهان ويكره أن ينفض يده فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء وضوئه وأن يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن
قاله سعيد بن المسيب والزهري ولكن روى معاذ أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة أنه كان له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن
عائشة رضي الله عنها ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وأبي هريرة كراهة الإناء الصفر وقال بعضهم
أخرجت لشعبة ماء في صفر فأبى أن يتوضأ ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة ينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره
وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق الذميمة
وأن من اقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل
هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأسبغ الوضوء وصلى
ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال أيضا ألا
أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء في المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين آتاه الله أجره مرتين
وتوضأ ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي ووضوء خليلي إبراهيم عليه السلام ومن ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن
لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء وقال عليه السلام من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال عليه السلام الوضوء على الوضوء نور على
نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل
وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح برأسه خرجت
الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته
نافلة له ويروى أن الطاهر كالصائم وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقال عمر رضي الله عنه إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال
مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفناه ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة
كما سبق إلا غسل قدميه فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الأيمن ثلثا ثم على شقه الأيسر ثلثا ثم على
رأسه ثلثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا
علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك فإن فعل فليعد الوضوء وإذا توضأ قبل الغسل
فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل يحتاج إليها
في عوارض الأحوال فيرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية
وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب وأما الموالاة فليست
واجبة والأغسال الواجبة أربعة الغسل لخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الأغسال سنة كغسل الجمعة والعيدين
وللإحرام وللوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر إذا أسلم غير جنب وللمجنون
إذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن
الوصول إليه من سبع وحابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو عطش رفيقه أو كان ملكا للغير ولم يبع منه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان
به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه
تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة
الصلاة ولا يتكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة
فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق ظهور
أصابع يده اليمنى ببطون أصابع اليسرى بحيث لا تجاوز أطراف الأنامل من إحدى اليدين عرض المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث و
ضعها على ظاهر ساعده اليمنى إلى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهام
اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه والغرض من هذا التكلف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر
عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة فإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فإن جمع بين فرضين فينبغي أن يعيد التيمم
للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم

القسم الثالث من النظافة

التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ وأجزاء

النوع الأول

الأوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الأول
ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها أي ليصنها عن الأوساخ ودخل عليه رجل ثائر الرأس
أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن و
المسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث
ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها الاستنشاق والاستنثار الرابع ما يجتمع على الأسنان وأطراف
اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل

والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح
لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية قد ملأت ما
بين منكبيه وفي حديث غريب عنه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي
من راسه ولحيته والجاهل بما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد
كان صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته
في اعينهم كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة
الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها
تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور و
تركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل
يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب
الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله بذلك وهذا امر ينكشف يوم تبلى السراير ويوم يبعثر
ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك يتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر الساد
وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم السابع تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم بتلك العرب وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ
لانه لم يكن يحضرهم المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطا الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف
ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن
وقوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذى بهما كما تتاذى بما تحت الظفر الثامن الدرن الذي
يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما
وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورات ويذهب الحياء فهذا تعرض لافته وذاك لفضيلته ولا باس بطلب فايدته عند
الاحتراز من افته ولكن على داخل الحمام وظايف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو ان يصونها عن نظر الغير
ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس
ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذا لحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة
والواجبان في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول
ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى
مباشرة حرام اخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثر بسماع

فقلت اوتنعوله كل يارسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم صح

ولا باس بدخول الحمام تبعا
والنساء اذا اتزرن وغضضن بصرهن
ملتقى

الانكار واستشعار الاحتراز عند التعبير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول
الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونه عورة وقد الحقه الشرع بالعورة وجعله كالحريم
لها ولهذا يستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروي ابن عمر في الحمام ووجهه الى الحايط وقد
عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه

واما السنن فعشرة

الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول
فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله
الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل
الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شايبة من قلة الحياء وهو مذكر للتامل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف
العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول ولا يعجل بدخول
البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه
لا سيما الماء الحار وله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه
بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله منها بل العاقل لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه
من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحايك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رايت البزاز
ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحايك ينظر الى الثياب يتامل نسجها والنجار الى السقف يتامل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها
واستقامتها فكذلك سالك طريق الاخرة لا يرى من الاشياء الا ما يكون له موعظة من الاخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له فيه طريق عبرة فان نظر الى سواد
تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية يذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة يذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هايلا يذكر نفخة
الصور وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف من اخر امره بعد الحساب من الرد او القبول وما
احدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسبت مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها
ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال
عافاك الله ولا باس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا سرا ولا باس بالجهار
بالاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد
نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح
بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت
ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي
يسال عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحناء بعد النورة امان من الجذام وقيل ان
النورة في كل شهر مرة يطفئ المرار وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قايما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف
بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذا

شربه هذا حكم الرجال أما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور حرام على
الرجال دخول الحمام إلا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها وإن دخلت لضرورة
فلا تدخل إلا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه

النوع الثاني

فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويترجل إلا إذا تركه قزعا قطعا
وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فإنه إذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا
الثاني شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وفي لفظ آخر جزوا الشوارب وفي لفظ حفوا الشوارب وأعفوا اللحى أي اجعلوها
حفاف الشفة أي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر أحفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله
حفوا يدل على ما دون ذلك قال تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي يستقصي عليكم وأما الحلق فلم يرد والإحفاء قريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر
بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا
يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله أعفوا اللحى أي كثروها وفي الخبر أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره
بعض العلماء الحلق ورآه بدعة الثالث شعر الإبط ويستحب نتفه في كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتداء نتفه
فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق إذ في النتف تعذيب وإيلام والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق
الرابع شعر العانة ويستحب ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن يتأخر عن أربعين يوما الخامس الأظفار وقلمها مستحب لشناعة
ازالهم
صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة قلم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها
ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء إما لأنه لا يمنع وصول الماء أو لأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في أظفار الرجل
وفي الأوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد وكان صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر
ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بإعادة الصلوات ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر
قلموا اظفاركم بالسنة والادب يمينها خوابس يسارها اوخس
من ذلك ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنه روي صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بإبهام
اليمنى ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما
العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من النقل بعد نقل الفعل إليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله أنه لا بد من قلم
أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة
أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يبتدئ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة
الطهور وغيره على اليمين وإن وضعت ظهر اليد على الأرض فالإبهام هو اليمين وإن وضعت الكف فالوسطى هي اليمين واليد إذا تركت بطبعها
كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع
أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى
المسبحة فيقع الابتداء بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى وإنما قدرنا الكف موضوعا على الكف حتى تصير الأصابع

كالشخا

كالأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه
الطبع وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيه نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها
لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمين فإن تقديرها حلقة بوضع
الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا
ابتداء ربما لم يخطر لنا وإذا ذكر لنا فعله وترتيبه ربما تيسر لنا ما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط
المعنى ولا تظنن أن أفعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي يتردد
الفاعل فيها بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل لمعنى يقتضي الإقدام والتقديم فإن الاسترسال مهملا كما يتفق
سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال
وتركها سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأولياء والأنبياء أكثر وكان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبي وهو قريب من الله لا بد
وأن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة
الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدأ باليمنى لشرفها
وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا على الزوج فإن الله تعالى وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة
لوصف من أوصاف الرب ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلث وهي وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب
أن المرة الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خصص اليمنى لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمنى أفضل فهي بالزيادة
أحق وإن قلت اقتصار على اثنين لليسرى ما معناه وهو زوج فذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع شفعا إذ الوتر
مع الوتر زوج ورعاية الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل
في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال
الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم أن العالم لا يكون وارثا للنبي إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي
إلا درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل له المال واشتغل بتحصيله واقتدر عليه
والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإ
ضافة
إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم
ورثة الأنبياء السادسة والسابعة زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة
اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب إلي وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم
الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية أشمي ولا تنهكي
فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور
النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر التافه ما لو وقعت الغفلة
عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم الثامنة

ما طال من اللحية وانما اخرناها لتلحق بها ما فيها من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض
الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا
تركها عافية احب لقوله عليه السلام اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول
المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل
اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل **فصل**
وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان
منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا
بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب
بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وكان يخضب بالسواد
فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعها اهل المرأة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك
ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل
الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على
هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون
بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة
الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا
على الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي
غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم
ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنه ما آتى الله تعالى عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب
ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله انهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل او
شين هو فقال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله لصغر سنه
كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فافحمه وروي عن مالك انه
قال قرأت في بعض الكتب لا يغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رايت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض
عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق
اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان احدث سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلاء احسن بالشيخ ان يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل
يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي رحمه الله يا ابا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي

خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر ان علم سفيان ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب
ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى النبي عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن
وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور من الله والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث
والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته
ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول الشباب تشبها بالمرد فمن المنكرات
الكبار فان اللحية زينة الرجال فان لله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها تميز الرجال عن النساء وقيل في
غريب التاويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وقال اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف لحية ولو بعشرين الفا وقال شريح
القاضي وددت ان لي لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه
والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقد قيل ان اهل الجنة مرد الا هارون اخو موسى عليهما السلام
فان لحيته الى سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان اقوام
يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو ان يزيد في شعر العذارين من الصدغين وهو

من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان
تسريحها لاجل الناس وتركها متفلة لاظهار الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل
في جميع الاخلاق والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من جملة الاحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة
خمس منها في الراس فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف
الرواجب واربع في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرضنا في هذا الكتاب شرح
الطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق ان فضلات الباطن واوساخه التي يجب التنظيف عنها اكثر من ان تحصى وسياتي تفصيل
في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله العزيز كمل كتاب الطهارة والحمد لله حق حمده ويتلوه بعون الله كتاب اسرار الصلاة

كتاب اسرار الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذي تنزل من عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى
عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له
وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم
يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم
شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح
الدجى وسلم تسليما اما بعد فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وراس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط
المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد

ومعونة اليه يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب والله تعالى الموفق بفضله ومنه

الباب الاول في فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله عز وجل وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك وفي قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملايكة

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شي قال فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما تذهب الماء الدرن وقال ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنب الكباير وقال عليه السلام بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال عليه السلام من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله بشي من حسناته وقال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسيل عليه السلام اي الاعمال افضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شي احب اليه منها لتعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلد انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة

فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلاة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها

فضيلة اتمام الاركان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم [مستوية كانها موزونة] وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال عليه السلام لا ينظر الله عز وجل الى العبد يوم القيامة لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال عليه السلام من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه السلام اسوا الناس سرقة من يسرق من صلاته وقال ابن مسعود وسلمان الصلاة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله في حق المطففين

فضيلة الجماعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فاحرق عليهم بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة في جماعة فقد ملا نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروى ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملا اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه ويروى ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلوات في جماعة لا يفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فيقول لهم الملايكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طايفة وجوههم كالشموس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله عز وجل بشي افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله اذا كان ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم

في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتبائس وتنادم وتقنع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي في الكتب السالفة ان الله سبحانه وتعالى يقول ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي والهم الفقير الجائع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابرهيم الخليل عليه السلام اذا قام الى الصلاة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يوذيك الذباب في الصلاة فتطرده فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان علي بن ابي

طالب

طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال داود عليه السلام الهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتي واتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلاتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلاتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المساجد ومواضع الصلاة

قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف مسجدا الفه الله عز وجل وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وقال عليه السلام قال الله عز وجل ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما احقه الا يقول الا خيرا ويروى في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا مات العبد بكى عليه مصلاه في الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرا فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرف له الارض ويقال ما من منزل ينزل له قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الجسد في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في

وصف

الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات
الجياد هذا ما يراعى في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء
اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من حائط
او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام
كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب الناس تحصنا
به من الشيطان ثم لياتي بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول
بقلبه اودي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اودي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ
حاضرة في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى اخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر
في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه
ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل
يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا التكبير مع ارسالهما و
احضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان يكون محمولة وينشر المسبحة و
الوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال
وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال واخره الوضع
ومبدا التكبير الالف واخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يدفع
يديه الى قدام دفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا
رفيقا ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى
على اليسرى وان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف
شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر ورائه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير جزما من غير ضمة فهذه هيئة
التكبير وما معه

القراءة

ثم يبتدي بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله
بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون
جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ثم يقرا الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول امين في اخر الفاتحة ويمطها ولا يصل
امين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة او قدر ثلث ايات من القران فما فوقها ولا يصل اخر السورة بتكبير الهوي بل
يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرا في الصبح من السور طوال المفصل وفي المغرب بقصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء
ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو
في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلاة

ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر

الركوع ولواحقه

ثم يركع

ويراعي

ويراعي فيه امورا ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في
الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه وراسه
مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي
العظيم ثلثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن
في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت في
الصبح في الركعة الاخيرة بالكلمات الماثورة

السجود

ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته
وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه
ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل
المراة ذلك وان يكون في سجوده مخويا والمراة لا تفعل ذلك والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وان يضع يديه
على الارض حذاء منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفرش ذراعيه على الارض
كما يفرش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا
ويرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول
رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح وياتي بالسجدة الثانية كذلك
ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه
في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء من الله عند استوائه جالسا
وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط
انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء

التشهد

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه
اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة اليمنى وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله
اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء الماثور بعد الصلاة على الال وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على
وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويضع راس الابهام الى جهة القبلة
ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من الجانب الايمن ويلتفت شمالا كذلك
ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج من الصلاة بالسلام وينوي السلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل
ذلك في الثانية ويجذف السلام ولا يمده مدا فهو السنة هذه هيئة صلاة المنفرد

المنهيات

نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن
المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والغضبان وعن المتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل
اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤس اصابع الرجلين

والركبتان وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود
في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار
على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه
أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث أمرت أن أسجد على
سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا وكره أحمد بن حنبل رحمه الله أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف وأما الاختصار
فهو أن يضع يديه على خاصرتيه وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام وأما المواصلة فهي خمسة
اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام
ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بتسليمة الثانية وليفصل بينهما وأما الحاقن فمن البول والحاقب
من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فإن كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمغتم وفهم نهي الجائع من قوله عليه السلام
إذا حضر العشاء وأقيمت العشاء فابدؤوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين
أحدكم وهو غضبان وقال الحسن رحمه الله كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان
الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف أربعة في
الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وأن يصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي أيضا عن أن يشبك أصابعه أو يفرقع أصابعه
أو يستر وجهه أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره
أيضا أن ينفخ في الأرض عند السجود للتنظيف وأن يسوي الحصا بيده فإنها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على الفخذ ولا يستند في قيامه
إلى حائط فإن استند بحيث لو سقط ما يستند عليه لسقط فالأظهر بطلان صلاته

تمييز الفرائض والسنن

جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيئات والآداب التي ينبغي أن يراعيها مريد طريق الآخرة جميعها والفرض من جملتها اثنا عشرة خصلة
النية والتكبير وقوله الله أكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع
الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم و
السلام الأول فأما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع
اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوي إلى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الأول وأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحد
رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة والإطراق وترك الالتفات هيئة القيام وتحسين صورته
وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنن في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة
في نفسها ولم نفرد بذكر وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم ذلك كله
تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء
في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر من جملتها بسجود السهو أربعة أما
من الأفعال فواحد وهو الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا

الخلاف

بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الأبعاض تجبر بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو
إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات فإنه لا يغير صورة
العبادة وأما الجلسة للتشهد الأول فهو فعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر
مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح
لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي
الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة فإن قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة
بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز السنة عن سنة والكل مأمور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب جار
على الكل فما معناه فاعلم أن اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها ولنكشف لك ذلك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون
إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء
ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت به الحياة ولكن تفوت به مقاصد الحياة
كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون
وبعضها لا يفوت به أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون
فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص
كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة
بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة
بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزي
من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين
واللحية والأهداب وحسن اللون وأما لطائف الآداب في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة
عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلطان إليه وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك
في يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه
أن تتميز عندك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقء العين لا يبطل
وجود الإنسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيئات
والآداب فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الأخبار التي أوردناها
في إكمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من أعمال القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها
وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى أقم الصلاة لذكري وظاهر الأمر

للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله
حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم إنما الصلاة
تمسكن وتواضع حصر بالألف واللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله إنما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والإثبات والنفي
وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم
كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما أراد به إلا الغافل وقال أيضا ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها والتحقيق فيه أن المصلي
مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة
شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منهما مقصود مع الغفلة
وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس
فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فإنه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فإما أن يكون المقصود منه كونه خطابا
ومحاورة أو المقصود الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم وكما يمتحن البدن
بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه
على الغافل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب فأي
سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلا وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأي مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما
بعد الاعتياد هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثني عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني
على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه إذ لا يكون
كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق
الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء
والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة
فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة
فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن
يكون معظما لله تعالى بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد
حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات
ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإن
ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في
أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فإن قلت إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في
صحتها خالفت فيه إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون

في الباطن ولا يطلعون على القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف
لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع فقد نقل عن بشر بن
الحارث رحمه الله فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي عن الحسن أنه قال كل صلاة
لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
وروي أيضا مسندا قال عليه السلام إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل
منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل
منها فجعله إجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع و
الأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على
الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له
إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع
ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة و
كيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى
أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذي
يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط أو
التساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه و
من عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن
قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعا للمريد
لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح
الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة
الغافل في جميعها إلا عند التكبير كحي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفصيلها
ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها أما التفاصيل **فالأول** حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون
العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة
عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع
معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم
المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء صلاته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه
كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء

والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال واما الرجاء فلا شك في انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب اما اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الان في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا يصفو له صلاة عن الخواطر واما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة له لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما جرى على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وستاتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها

بالضرورة

بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وقد كان وجيب قلب ابرهيم الخليل عليه السلام يسمع على ميل وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه بمهمه ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة تحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة وقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في ان لا يعرف من على يمينه وشماله وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي

أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة إني نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذي في البيت فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شك في أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص عنه بإخراجه كما روي عنه عليه السلام أنه لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وائتوني بأنبجانية أبي جهم وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه في الصلاة إذ كان جديداً فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام قد احتذى نعلاً فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ثم أمر علياً أن يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم وروي أن أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه نظره ساعة لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين ألفاً فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له إن هذا سير السواني ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمي ذباباً فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالاً حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوساوس لنكون ممن خلط عملاً صالحاً

وآخر سيئا

وآخر سيئاً وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائماً والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أرحنا يا بلال أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موقع نظر معبودك وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رأيك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله ساتر وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله ليس مطلوباً منك هيهات فلا مطلوب سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله إلا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه وأما الاعتدال قائماً فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً متطأطئاً متنكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك وأما النية فاعزم على إجابة الله في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف وأما التكبير فإذا

نطق به لسانك فينبغي ان يكون به قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما
شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك
وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار
وحسن الظن بكرم الله وعفوه **واما** دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد
بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه
القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع الشهوات او مقبل على فاطر
السموات واياك ان تكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال
في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم
هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما
سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن متقيا من هذا الشرك واستشعر
الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل و
الكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه
وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة
واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله تعالى لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو
ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من
يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان
وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما
من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلاة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات
ليمنعك عن فهم ما تقراه فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها
واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم
منه كانه يسمعه من غيره وهذه درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق
بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل
ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله
وان المراد ههنا بالاسم هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير
الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن

الرحيم

الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين
اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز
والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان المنة له اذ وفقك لطاعته
واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت
عن التعويذ بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل
اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين افاض
عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى
والصابئين ثم التمس الاستجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى
قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما
ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقراه من السورة كما سياتي في كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده
ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي
والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء روي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور
فخر ميتا وكان ابرهيم اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي
مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم
ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا
حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته
في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويروى انه يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام
القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة
الراس والعين عن الالتفات الى الجهات كذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فان التفت الى غيره تذكره باطلاع الله
عليك وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع
ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم
الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كانه وتد وكذلك
كان ابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم
من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا تضطرب اطرافه
بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في

الساجدين في قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه **وأما** الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيراً
بعفو الله من عقابه ومتبعاً سنة نبيه ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك
وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر
ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجياً أنه راحم ذلك ومؤكداً الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب الله لمن شكره
ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات والأرض ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات
الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل
فإنه أجلب للخضوع وأدل على الذل وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب
خلقت وإليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الأعلى وأكده بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر
فإذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك
مكبراً وسائلاً حاجتك وقائلاً رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك
وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدباً وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي الأخلاق الطاهرة لله وكذا
الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته و
ليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتأمل أن يرد الله عليك سلاماً
وافياً بعدد عباده الصالحين ثم تشهد لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجدداً عهد الله بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفاً
للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة وأشرك في دعائك
أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله على توفيقه لإتمام هذه
الطاعة وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها قال عليه السلام صل صلاة مودع ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير
في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بفضله وكرمه
كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله يعرف عليه كآبة الصلاة وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل
صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلواتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية
فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي تيسر له منها ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي
أن يجتهد وأما صلاة الغافلين فإنها مخطرة إلا أن يتغمدنا الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى أن يغمرنا
برحمته ويتغمدنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها
لوجه الله وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار
مفاتيح علوم المكاشفة فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في
الصلاة لا سيما في السجود إذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وتكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه
عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف

لبعضهم

لبعضهم الشيء بمثاله كما كوشف بعضهم بالدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة
فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله وبعضهم من أفعاله وبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية
لا تحصى وأشدها مناسبة الهمة فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى
إلا في المرآة الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة احتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية
تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود إنسان في متسع
الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده
ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطواراً فلا ينبغي أن ينكر أحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة
والمباحثة المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن
بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر أن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت
الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه و
يناديه مناد لو علم المناجي من يناجي ما التفت وإن أبواب السماء تفتح للمصلين وإن الله تعالى يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح أبواب
السماء ومواجهة الله إياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصلياً باكياً
فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من
دنو الرب تعالى من قلبه وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال إن العبد
إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة
بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون
إلى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فإن ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحدة لا يزيد ولا
ينقص ولذلك أخبر الله تعالى عنهم إذ قالوا وما منا إلا له مقام معلوم وفارق الإنسان الملائكة في الترقي من درجة إلى درجة فإنه لا يزال
يتقرب إلى الله ويستفيد المزيد وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد إلا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها
لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها فلا يستحسرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى
قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة
أيضاً فقال في آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
فوصفهم بالفلاح أولاً وبوراثة الفردوس آخراً وما عندي أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجته إلى هذا الحد ولذلك
قال تعالى في أضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله و
المتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم
المنان القديم الإحسان

حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين
الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة

فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على الضمير ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك
روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس
انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذلك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن
مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما
والله لو راك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب
صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة
التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا
ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم
يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين
قيل له فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم ونقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة في المسجد وهو في الصلاة وتآكل طرف من
اطرافه فاحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الاخرة
فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل
بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا فقال وهل شيء احب الي من الصلاة فاذكره فيها وكان ابو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته
قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروي ان عمار بن ياسر صلى صلاة
فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد
من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان
وروي ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها و
اقباله على الله فيها وسئل ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف
اعلى شفع ام على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها
عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الاخبار
عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر
نقصان الفرائض بالنوافل في الخبر وقال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك في قراءته اية فلما انفتل قال ماذا
قرات فسكت القوم فسال ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت اية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل
على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل

كذا فعلوا فاوحى الله الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل
على ان استماع ما يقرا الامام وفهمه نائب عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة عنده انه يتقرب بها الى الله تعالى و
لو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد
استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الاخبار والحكايات مع ما سبق على ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد
الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة وفي اركان الصلاة وبعد السلام اما الوظائف قبل الصلاة فستة **اولها** ان لا يتقدم للامامة
على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز
صلاتهم رؤوسهم العبد الآبق وامراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما نهي عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عن التقدم ان
كان وراءه من هو افقه منه واقرا الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام
بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة بين الصحابة
فسببه ايثارهم من راوه اولى بها او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل
قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في الصلاة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس **الثانية**
اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن
واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن
فقالوا في الامامة خطر الضمان وقال ايضا الامام امير فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه ولا
عليهم ولانه عليه السلام قال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من اذن في مسجد سبع
سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة و
الصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما
ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم
الافضل والافقه قال عليه السلام ائمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء
افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين
وهو الصلاة وبهذه الحجة احتجت الصحابة في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة
فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة
وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه **الثالثة** ان يراعي الامام اوقات الصلوات فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان
الله ففضل اول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلاة في آخر
وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة

أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجنائز لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال قد أحسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر حتى جاء وهم في الصلاة فقام إلى جانبه وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذا حضر فلا ينتظر غيره **الرابعة** أن يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا أمانة الله في طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا والأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجرا فإن أخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح ويكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة وأما الأمانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والإصرار على الصغائر فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك جهده فإنه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فإنه لا يطلع عليه سواه فإن تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحيي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في أثناء صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة قال سفيان صل خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر أو معلن بالفسق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق **الخامسة** أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فإن رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب **السادسة** أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة وليؤخر تكبيره عن تكبير الإمام فيبتدئ بعد فراغه **وأما وظائف القراءة فثلث**

أولها أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأولي المغرب والعشاء وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي رحمه الله الجهر **الثانية** أن يكون للإمام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهن إذا كبر وهي الطولى منهن بقدر ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته دعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فإن لم يقرؤوا في سكوته واشتغلوا بغيره فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى فاتحته وهي نصف السكتة الأولى السكتة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ الفاتحة معه والمقصر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة **الثالثة** أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة

ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ولا بأس أن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روي أنه عليه السلام قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي أنه قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما أنزلت وسمع بلالا يقرأ من هاهنا ومن هاهنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها بسورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة فالتخفيف أولى لا سيما إذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر عليه السلام معاذا وقال أفتان أنت يا معاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها **وأما وظائف الأركان فثلث**

أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روي أيضا أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أمير المدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا أنهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث إذا كثر الجمع أحسن فأما إذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده **الثانية** ينبغي للمأموم أن لا يساوق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر عنه فلا يهوي للسجود إلا إذا وصل جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راكعا وقد قيل أن الناس يخرجون من الصلاة على ثلثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وإدراكه لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم **الثالثة** لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلعم فيقول نعوذ بك من عذاب القبر وعذاب جهنم ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها وقيل لأنه ممسوح العين أي مطموسها **وأما وظائف التحلل فثلث**

أوليها أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة **الثانية** أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلعم وأبو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور أنه عليه السلام لم يكن يقعد إلا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام **الثالثة** إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الإمام فقد روي عن طلحة والزبير أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وإتمامها

الا شيء واحد انك ما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قال ايها الناس ما احسن ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث
شاء من يمينه وشماله واليمين احب عنه وظيفة الصلوات اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني
ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين لانه ثناء فيقول مثل قوله او يقول بلى وانا على ذلك
من الشاهدين او صدقت وبررت وما اشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان
على خلاف الدعوات في اخر التشهد اذ لا ترفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو
الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد ان يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله اعلم

تمت جملة ابواب القدوة والامامة

الباب الخامس
في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة اعلم ان هذا يوم فضل الله به الاسلام وخص به المسلمين وقال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد فرض عليكم الجمعة
في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره
واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول
في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اول
الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة
يفرضها عليك ربك ليكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا بخير فيها هو له قسم اعطاه الله او ليس له
قسم ذخر الله له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة
يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا
الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط
الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة
وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام
وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه
صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي
ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة
كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر

بيان شروط الجمعة اعلم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط
وتتميز عنها بستة شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا
وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في الصحاري والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة
جامعة لابنية لا تنقل تجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب
استئذانه الثالث العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا

حتى ينقص العدد اما في الخطبة او في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قرية
او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة
الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا الخامسة ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة فان تعذر الجمع
في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة
فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب وللكثرة ايضا فضل يراعى
السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرائض التحميد واقله الحمد لله و
الثانية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله عز وجل والرابعة قراءة اية من القران وكذا فرائض الثانية
اربعة الا انه تجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن
وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم
بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه ولا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف والعنزة
كي لا يعبث بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى ويكون
خطبته قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرأ اية في الثانية ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة
بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة واما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر
مقيم في قرية او بلدة يشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغهم نداء البلد من طرف يليهما والاصوات
ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر
المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تأخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة
وان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امرأة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل الاولى ان يستقبلها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا
لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في
يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله تعالى فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعة
ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي
في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس والسبت لا مفردا فانه مكروه واشتغل باحياء هذه
الليلة بالصلاة وختم القران فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب
ذلك قوم حملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه بالتخفيف
واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف اوفى
الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم نصيبا من اذا اصبح قال ايش اليوم وكان بعضهم يبيت
ليلة الجمعة في الجامع لاجل الجمعة

الثانية اذا اصبح اغتسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح

احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا موكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة
واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء
فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابون بينهم فيقول احدهم لصاحبه لانت اشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما
لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضوء
ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية
غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض
الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال اللجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم
وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح
ايضا في الوضوء وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضا ولم يبطل غسله والاحب ان
يحترز عن ذلك **الثالثة** الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة
فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وساير ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج
الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده
ليغلب به الروايح الكريهة ويوصل بذلك الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه و
طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه روي ذلك في الاثر وقال الشافعي رحمه الله من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما
الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله البياض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل
بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم وروى واثلة بن الاسقع
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملايكته يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا باس بنزعها قبل
الصلاة وبعدها ولكن لا ينزعها في وقت السعي الى الجمعة من منزله ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الامام المنبر ولا في حال الخطبة
الرابعة البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور
عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلاة قاصدا للمبادرة الى جواب
نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة — قدم
ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب
دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملايكة
عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية
الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل — انبساطها
ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن

الاذان

الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل رضي الله عنه افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت
الملايكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملايكة يتفقدون
العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر
فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان في القرن
الاول يرى الطرقات سحرا وبعد الفجر مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل
اول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنايس
يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجوامع للبيع والشرى فلم لا يسابقهم طلاب الاخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند
النظر الى وجه الله على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضي الله عنه الجامع بكرة فراى ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه
معاتبا لها رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد **الخامسة** في هيئة الدخول فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور
يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان
النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض
الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت فقال او لم نرك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله
وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا فقال او لم ترني فقال رايتك انيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان
الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الذين يقعدون على ابواب الجامع
يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله **السادسة** ان لا يمر بين
يدي الناس ويجلس هو الى قرب اسطوانة او حايط حتى لا يمرون بين يديه اعني بين يدي المصلين فان ذلك لا يقطع الصلوة ولكنه نهي
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وسوى في حديث اخر بين المار والمصلي حيث صلى
على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين خير له من ان يمر بين يديه والاسطوانة
والحايط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان
وكان ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم
امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده **السابعة** ان يطلب الصف
الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة
ايام وفي لفظ اخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلثة امور اولها
انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك
مما يجب فيه الانكار فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في اخر الصفوف
فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من
ابي جعفر فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد

وقال لان يكون الرجل رمادا رمددا تذروه الرياح خير له من ان يمر صح

قال يا عبد الله اليس في الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم ينظر اليهم كان
اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتاخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس
يقال خير الصفوف اولها قال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر له ولمن
وراءه من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك
فمن تاخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها انه ان لم تكن مقصورة عند
الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان
في المقصورة ورأوا انها قصرت على السلطان وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس
وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة
التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا يوجب كراهية ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد
المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل
ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة
في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب **الثامنة** ان يقطع الصلاة
عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بسجود عند قيام المؤذنين
ولا يثبت له اصل في خبر ولا اثر لكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس ان يبدأ الدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب
لتحريمه وقد روي عن عثمان وعلي رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يسمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران
ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب
فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سأل ابيا والنبي صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام صدق ابي وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي
الى همهمة ينتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان تكره الصلاة في وقت
خطبة الامام فالكلام اولى قال علي كرم الله وجهه تكره الصلاة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب
التاسعة ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد
سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فقد روي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة
وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن
حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات
فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما انه عليه السلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح
في احوال مختلفة والاكمل افضل **العاشرة** ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان اقام الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر

في الجامع

في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعنيه
فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله تعالى مفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا يفوته
الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم
امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم **بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق التي تعم جميع النهار**
وهي سبعة امور **الاول** ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلاة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان
يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى يوافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلاة روى عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالم بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم
في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر
ان حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما
انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعليم العلم في هذا اليوم وتعلمه من افضل القربات
والصلاة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في المسجد الجامع فاذا قاص يقص
في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما حل
اقامته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه
لا يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني
عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده **الثاني** ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة
ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع
الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت
العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فيؤذنها بسقوطها
فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن ابيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل
ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق
بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة
تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى
بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة
فهو في الصلاة قال بلى قال فذاك صلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى انها رحمة من الله للقائمين بحق اليوم واوان
ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما **الثالث**

يستحب أن يكثر الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي ويعقد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جزيت نبيا عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين يقول هذا سبع مرات وجبت له شفاعته عليه السلام وإن أراد أن يزيد أتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو المشهور في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم

الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وأبو هريرة مرفوعا أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين ركعة فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي ألف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى أنه عليه السلام كان يقرأ سورا بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين وروي أنه كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان

الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاهما ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور الأنعام والكهف وطه ويس فإن لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع السور في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن يقرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من قراءة سورة الإخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها روي أنه قال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة

الى العصر

إلى العصر لاستماع العلم وبعده إلى المغرب للتسبيح والاستغفار

السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فإنها تضاعف إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه قال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جنب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ولم يعرفه ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكان من غير تخط وقال كعب الأحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه وقال بعض السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وأن تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له

السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي أن من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو ليسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة فينبغي أن يزيد في الجمعة أوراده وأنواع خيراته فإن الله إذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها

فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

مسألة الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة وذلك في دفع المار أو قتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثة كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته إلى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وكان ابن عمر يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يديه وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الأحب إلي أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة وإلا فالكمال في الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا أعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلاة وقد سمعت أن الفساق يصبرون بين يدي الملوك على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى وإن عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه وإن تجشأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه إلا لضرورة

مسألة الصلاة في النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا فليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلعم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثا فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثا فليمسحه بالأرض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلاة

في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهو مبالغة فانه سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى
عبد الله بن السائب ان النبي صلعم خلع نعليه فاذن قد فعل كليهما ثم من خلع فينبغي ان لا يضعهما عن يمينه ويساره من ضيق الموضع وقطع
الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من راى الصلاة فيهما افضل راعى هذا المعنى
وهو التفات القلب اليهما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة
لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما وللامام ان يفعل
ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال
جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة **مسألة** اذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما
يحصل به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلعم
فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه السلام راى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني
بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا اينا قال فان احدكم اذا دخل في صلاته
فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه لكن عن شماله او تحت قدمه
اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا او دلك بعضه ببعض **مسألة** الوقوف للمقتدي سنة
وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب
الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل على اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف خلف الصف منفردا بل يدخل لعدم
في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو
ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال
صف بل الى ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق
او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الآخر وانما يشترط
اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لاصق في المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى
الصحن لم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة
الواحدة فكالصحراء **مسألة** المسبوق اذا ادرك آخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه
وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام واذا ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة
وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتمم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم
جميعها فيسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام وجلس ولم
يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية
في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم تتم طمأنينته
الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة **مسألة** من فاته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا

ثم العصر

ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزأه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة
بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب احبهما فان نوى فائتة او تطوعا
جاز وان كان قد صلى جماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك
لدرك فضيلة الجماعة **مسألة** من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في اثناء
الصلاة رمى الثوب واتم والاحب الاستئناف واصل هذا قصة خلع النعلين حين اخبره جبريل عليه السلام بان عليهما نجاسة فانه صلعم
لم يستأنف الصلاة **مسألة** من ترك التشهد الاول والقنوت او ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد
الاول او فعل فعلا سهوا وكان يبطل الصلاة بعمده او شك فلم يدر اصلى ثلثا ام اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي
فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث بطلت الصلاة فانه لما رغب في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله
فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل
فقد فات **مسألة** الوسوسة في نية الصلاة سببها خلل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره
وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله
متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظما الا اذا قام
لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا اداء وفرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال با
لوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن
معظما ثم هذه الصفات لا بد ان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضور هذه في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم
الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه
الا انك دعيت الى الصلاة في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة
ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد
للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة
وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم والتأخر للوجود فهذه
العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادثات اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التأخر او العدم
او تقدم العدم او تأخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم
الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة
واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع
الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة فاقول لو لم يفهم
الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله
الى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا يكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او آخره فان ذلك تكليف

شطط ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل
فكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا تطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد فيه
وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء إلى معرفتها فأما العامي فربما يضره
سماعها ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركنا ذكرها **مسئلة** لا ينبغي أن يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع
منهما وفي سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساوقه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساوقه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه
غير متأخر عنه وإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الإمام بل هذا أولى
لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا
لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلعم
فيه النكير وقال أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك
بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى
الركوعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول **مسئلة** حق على
من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية
الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم
ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد أنه
قال الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء في الحديث أن بلالا كان يسوي الصفوف
ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا
أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على ترك الجماعة فلا ينبغي أن يتساهل فيه فقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة
إلى باب من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد فينبغي أن يقصد يمين الصف
ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة المسجد كان
له كفلان من الأجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف الصف ويدخل مكانه أعني إذا لم يكن بالغا
فهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

الباب السابع
في النوافل من الصلوات

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيره لأن السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني
بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج
من المنزل والدخول فيه وأمثال ذلك ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث
رغب في مناجاة الله تعالى بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه تبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن

ندب

ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الأقسام الثلثة نوافل من حيث أن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض
فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة
في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيه من الأخبار والآثار المعرفة لفضله
وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وبحسب صحة الأخبار الواردة فيه واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات أفضل
من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعة صلاة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما
من الرواتب على تفاوتها واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب كالخسوف والاستسقاء وإلى
ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة
أقسام **القسم الأول** ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلثة وراءها
وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد **الأولى** راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير
من الدنيا بما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن يتعلم
منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع
الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج
وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر
بفوات وقت فريضة الصبح وهو بطلوع الشمس ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتو بة
قال صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما والصحيح أنهما أداء
ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنه تابع للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف فها
انقلب الترتيب وبقي أداء والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي إلى
أن يصلي المكتوبة فما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة **الثانية**
راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخير تين
روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن
صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول إن
أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ودل عليه أيضا ما روت أم
حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر
وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته أم حبيبة إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلعم
ولكن حدثتني أختي حفصة أنه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديث ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء
فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة

مايلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف
عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت
الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان
الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه ياخذ في الزيادة
يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك
بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على
الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض
ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قايمتين اي لا يكون الخط
مايلا الى احد الضلعين ثم ينصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه
وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مايلا الى جهة المغرب في صوب خط ا
ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ه ب بحيث لو مد راسه لانتهى
على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مايل الى احدهما فاذا
بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي



على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله ثم يعلم
على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا باس من معرفته من
علم الزوال **الثالثة** راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلعم انه قال رحم الله
عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا موكدا فان دعوته
مستجابة لا محالة ولم يكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر **الرابعة** راتبة المغرب وهما
ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن
جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا
اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل
المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن شاء
وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه
الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان
كانت محفوفة بها من جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل
من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخرت واديت قبل غيبوبة
الشفق الاحمر وقع ذلك اداء ولكنه مكروه اخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع

كوكبان

كوكبان فاعتق رقبتين **الخامسة** راتبة العشاء الاخرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلعم
يصلي بعد العشاء الاخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة
ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد العشاء هي الوتر ومهما عرفت الاحاديث
الواردة في ذلك فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذن اختيار كل مريد من هذه الصلوات
بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها اكد من بعض وترك الاكد ابعد لا سيما والفرايض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك
ان لا يسلم له فرايضه من غير جابر **السادسة** الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلث ركعات
يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر انه كان عليه السلام يصلي
بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار فاذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا
فيهما اذا زلزلت وسورة الهيكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين
وقد اوتر صلى الله عليه وسلم بركعة وثلث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة
وكانت هذه الركعة اعني ما سميناها جملتها وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة موكدة وسياتي ذكر فضايلها في كتاب الاوراد — فضلها خ
ان شاء الله وفي الافضل خلاف فقيل الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه عليه السلام كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصول
افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر



على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما
سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة
فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه خرق لاجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلثة
مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشاء لم يكن من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هي وترا وانما الوتر ما — في نفسها خ
بعدها ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر ان ينشا
ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلث وترا والركعتان من جملة الثلث الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على
عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي بهما الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما و
ليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون اخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية
الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد ان شاء الله **السابعة** صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزايم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها
فاكثر ما نقل فيها ثماني ركعات روت ام هاني اخت علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا
العدد غيرها فاما عايشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله فلم يحد الزيادة اي انه
كان يواظب على الاربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات
واما وقتها فقد روى علي كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت
قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي بيانه واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق

صلى اربعا فالاول اما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقتها ان يبقى
من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال
الى الغروب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة ❊ الثامنة احياء ما بين العشائين سنة
موكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وسلم بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم
من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قران كان حقا على الله ان يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل
قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتى بقية فضايلها فى كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

القسم الثانى ما يتكرر بتكرر الاسابيع

وهى صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل
ليلة اما الايام فنبدا فيها **بيوم الاحد** روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات
يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب وامن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات واعطاه الله ثواب نبى وكتب
له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروى على كرم الله وجهه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر
اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك
ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين يقرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله حاجته كان حقا على الله ان يقضى
حاجته ❊ **يوم الاثنين** ❊ روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرا
فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسى مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبى
عليه السلام عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها وروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة يقرا فى
كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة فاذا فرغ قرا قل هو الله احد اثنتى عشرة مرة واستغفر الله اثنتى عشرة مرة ينادى به يوم
القيامة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف
ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا ❊ **يوم الثلثاء** روى يزيد الرقاشى عن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفى حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرا فى كل ركعة
فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا
وغفر له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعاء** روى ابو ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى يوم الاربعاء اثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة وقل هو الله احد
ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنك عذاب
القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدايد القيامة ورفع له من يومه عمل نبى ❊ **يوم الخميس** ❊ عن عكرمة عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرا فى الاولى فاتحة الكتاب مرة واية الكرسى مرة وفى
مائة م

الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلى على محمد مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب
مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من امن بالله وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضا واسبغ الوضوء فصلى سبحة
الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتى حسنة ومحى عنه مائتى سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له فى الجنة اربع مائة درجة ومن
صلى ثمان ركعات رفع الله له فى الجنان ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتى عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتى حسنة ومحى
عنه الفا ومائتى سيئة ورفع له فى الجنة الفا ومائتى درجة وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى
اربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرا فى كل ركعة الحمد وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ❊
يوم السبت روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب
مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قرا اية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة
صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء **اما الليالى**
ليلة الاحد روى انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا فى كل ركعة الحمد مرة وقل هو
الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبى مائة مرة وتبرا من
حوله وقوته والتجا الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان ادم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم
الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الامنين
وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الاثنين اربع ركعات قرا فى الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين
مرة وفى الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وقرا فى الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين
مرة واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سال الله حاجته كان حقا
على الله ان يعطيه ما سال وهى تسمى صلاة الحاجة **ليلة الثلثاء** يصلى ركعتين يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله
احد والمعوذتين خمس عشرة مرة فاذا سلم قرا اية الكرسى خمس عشرة مرة واستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة الاربعاء**
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرا فى اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر
مرات وفى الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه
الى يوم القيامة ❊ **ليلة الخميس** قال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرا
فى كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من
الصلاة استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله
ما يعطى الصديقين والشهداء ❊ **ليلة الجمعة** قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب
والعشاء اثنتى عشرة ركعة يقرا فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد الله اثنتى عشرة

سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي
السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن
ووجهه الى القبلة فكأنما احيا ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوات علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة
ويوم الجمعة. **ليلة السبت** قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة
بني له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له

القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين

وهي اربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب
وصلاة شعبان. **الأول** صلاة العيدين وهي سنة مؤكدة وشعار من شعار الدين وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور. **الأول** التكبير
ثلاثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له الله
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة
الى آخر النهار من يوم الثالث عشر وهذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد. **الثاني**
اذا اصبح يوم العيد فيغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرنا في الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز
التزين عند الخروج. **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج
العواتق وذوات الخدور. **الرابع** المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في
المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين. **الخامس** يراعي الوقت فوقت العيد
ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب
تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. **السادس**
في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وليقطع الناس التنفل ثم ينادي مناد
الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء التاسعة
ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع
وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم خطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها. **السابع** ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من رأى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي
فلا يأخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل
بيته فيأكلون ويطعمون وله ان يأكل من الاضحية بعد ثلاثة ايام فما فوق ذلك وردت الرخصة فيه بعد النهي عنه وقال سفيان
الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة. **التراويح**
وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد له
وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس

عليها

عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه ولأن للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل
الفرائض ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين
فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم تشرع فيهما جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة
ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت
وروي انه قال صلاة في مسجدي هذا افضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة في مسجدي
وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة
فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما رآه عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من
الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة
وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسألة فيمن يثق من نفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا
يرائي لو حضر الجمع فأيهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل
احدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان

اما صلاة رجب

فقد روي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتا
عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو
الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده
سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت العلي الاعظم
ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي
احد هذه الصلاة الا غفر الله جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة
في سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا
يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكني رأيت اهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها
فأحببت ايرادها.

اما صلاة شعبان

فهي ان يصلي في الليلة الخامسة عشر منه مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة
يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد
فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة
روي عن الحسن البصري رحمه الله قال حدثني ثلاثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله تعالى
اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة

القسم الرابع من النوافل

ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة كصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين والجنازة
بين الاذان والاقامة وعند الخروج من المنزل والدخول اليه ونظائر ذلك فنذكر منها ما حضرنا الآن. **الأولى** صلاة الخسوف قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا

الى ذكر الله والى الصلوة قال ذلك لما مات ولده ابرهيم عليه السلام وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها
اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة او غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين
وركع في كل ركعة ركوعين اوايلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقراء في الاول من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وال
عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابع الفاتحة والمايدة او مقدار ذلك من القران من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة
في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة
آية وفي الثاني قدر ثمانين آية وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب
خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل في خسوف القمر الا انه يجهر في الصلاة
لانها ليلية فاما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة ويفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع
قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء الصلاة اتمها مخففة
ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول **الثانية** صلاة الاستسقاء مطلب صلاة الاستسقاء
فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة
والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجايز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين
بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهايم رتع
لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة وصلى بهم
الامام ركعتين مثل صلاة العيد من غير فرق ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية
ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله
وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون ارديتهم
محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا ثيابهم ويقول في الدعاء اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا
كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلثة
قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي ذلك في كتاب الدعوات ان شاء الله **الثالثة**
صلاة الجنازة وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء ماثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت
من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا
كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب
القبر ومن عذاب النار قال عوف حتى تمنيت ان اكون انا ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات
الامام فاذا سلم الامام قضى فائته كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة
وجدير بان تقام مقام الركعات في ساير الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة
وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرايض الكفايات وانما يصير نفلا في حق من لم تتعين حضوره بغيره

ثم ينال

ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط
به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات
ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا اناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله
فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا
والمستاخرين وانا ان شاء الله اللاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك
رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا
فضاعف له في حسناته وان كان مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة** تحية المسجد ركعتين فصاعدا وهي سنة مؤكدة حتى انها
لا تسقط وان كان الخطيب على المنبر في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وان اشتغل بفرض او قضاء تادى به
التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل
المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها
عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت
الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد
الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فايدتين احدهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب
قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهة باضعف الاسباب
فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات
لان لها اسبابا الفايدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا في رسول الله اسوة حسنة وقالت
عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثني عشر ركعة وقد قال
العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الان لقول من يقول ان ذلك
مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية نعم من كان له ورد ففاته
عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر كيلا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل
مجاهدة النفس ولانه عليه السلام قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت عايشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فيحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه
مقته الله فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما تسلطت الملالة عليه **الخامسة** ركعتان بعد الوضوء مستحبتان
لان الوضوء قربة مقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرى الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع التعب فالمبادرة الى
ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها
فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين **السادسة**

ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل
ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدا به مما له وقع ولذلك
ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور فعله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه
وبدايات الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدا فيها بسم الله قال صلى الله عليه وسلم
كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب
فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على
رسول الله قبلت هذا النكاح وقد كانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم الحمد الثالثة
ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من
المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب **السابعة** صلاة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان
الخيرة في تركه او في الاقدام عليه فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون
وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تعلم ولا اعلم وتقدر
ولا اقدر وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فقدره لي ثم يسره لي
وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله واصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اينما كان
انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة
من القران وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي
الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة**
صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان
من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة بام القران واية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ
خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان
الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من عرشك
ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وعلى
ال محمد ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها
على معصية الله تعالى **التاسعة** صلاة التسبيح وهذه الصلاة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب
ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او في الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد
المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطاه وعمده
سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم

قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها
عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل
ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية
اخرى ان تقول في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة
وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع
في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى
وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا يستحب
شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر و
الخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي موكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رايت
بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء
فينبغي ان يتوضا ليصلي لا انه يصلي لانه توضا وكل محدث يريد ان يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضا ويصلي فلا يبقى
للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضا صلى ركعتين تطوعا كي لا يتعطل وضوؤه كما كان يفعله
بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلاة
الوضوء بل ينبغي ان ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان يقول في وضوئه اتوضا لصلاتي ويقول في صلاته اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس
وضوءه عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضاء صلاة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء
الصلوات في اوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه له ففي النهي في اوقات الكراهية مهمات ثلثة احدها التوقي من
مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال عليه السلام ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها
فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة في هذه
الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكي طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من
العبادات يورث الملال ومهما منع منه ساعة زاد النشاط وانبعث الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات
زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا
بالانتقال من نوع عبادة الى نوع اخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استثقال وملال ولذلك لم
تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادة من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك
من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي
عن اوقات الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك
الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان
يصادم به مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليه من نعمه ما أيسر به واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين مبنى وبين أن بفضله يزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم كثيرا أما بعد فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة وقال الأحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال أبو ذر انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس وإذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدي الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها الثاني في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه الرابع في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب الوجوب

والزكاة باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعدن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر

النوع الأول

زكاة النعم ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال الشرط الأول كونه نعما فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم أما الخيل والحمير والمتولد بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيمت في وقت وأعلفت في وقت فظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها الثالث الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه بحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهب انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لأنه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فيجب لما مضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيا به إذ الغني ما يفضل

أقول قد فصل الإمام رضي الله تعالى عنه في هذا الفصل ما لم يكن جميعه في هذا الكتاب الشريف إلا أنه أراد تعميم الفائدة وتعميم العوائد

عن الحاجة الخامس كمال النصاب أما الإبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ثم فيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب فإذا كان بين اثنين أربعون من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غذاء المال

النوع الثاني

زكاة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من فلا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر أن يكون ثمانمائة من تمرا أو زبيبا لا رطبا ولا عنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فيجب عليهم ثمانمائة من زبيبا يجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فإنه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فإن اجتمعا فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ رطب ولا عنب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف

النوع الثالث

زكاة النقدين فإذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة وفيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان

موجلا فلا يجب الا بعد حلول الاجل ❊ **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويؤدى الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يؤدى زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكوة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس ❊

النوع الخامس الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده من الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكوة ولذلك يخص على الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتخليص ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها مخطر لتعارض الاشباه ❊

النوع السادس صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته اذا فضل عنه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزأه وقسمها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأته وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم ادى عن بعضهم واولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذه المقادير ❊ حسبي الله ونعم المعين ❊

الفصل الثاني بيان

في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة

الشروط الظاهرة اعلم انه يجب على مؤدى الزكوة مراعاة خمسة امور الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند الاطلاق ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستأنف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل

او وكل

او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر ان لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزى ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رحمه الله يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلثة اقسام **قسم** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعو اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم** الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدمي ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم** الثالث هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رحمه الله فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس امواله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ان كان الثياب والامتعة كلها في معناهما فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا منار الغلط فيه الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة ❊ الخامس

ان يقسم ماله بين الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فانه شبيه بقول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك و العبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدون في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم بينهم زكوة ماله خمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلثة اسهم فما فوقه اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا يقبل الزيادة و النقصان ولا ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط ماله باموالهم او ليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهمون فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقايق الاداب الباطنة في الزكوة

اعلم ان على مريد طريق الاخرة بزكوته وظايف الاولى فهم وجوب الزكوة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مباني الاسلام مع انها تصرف مالي وليست من عبادات الابدان وفي ذلك ثلثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها الة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مايتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله

القسم الثاني

درجتهم دون هذا وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهولاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى الاية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا

ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقته حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض اي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة

القسم الثالث

الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للاخرة قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه عباده ببذل المال المعنى الثاني التطهير عن صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصي عنه وانما يزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله

الاموال

الوظيفة الثانية

في وقت الاداء ومن اداب ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور على قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان يعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير افات مع ما يتعرض له العبد من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القران وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول

الوظيفة الثالثة

الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب و قال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من افة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص

من ذلك وقد بالغ في قصد الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق
الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد
غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب واحترازا
من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى مسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة
المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكوة ازالة
للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الاخرة ولكن صفة البخل
ينقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغة وصفة الرياء ينقلب في القبر في حكم المثال افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما
لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب
زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف
هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فايدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف
الادنى ويقوي الاقوى وستاتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات ه

الوظيفة الرابعة

ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب
الرياء فقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سال
على ملا من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان
وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السوال
فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من يستتر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتبار بذكره
منهي عنه فاما من اظهر فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء فلا غيبة
له وقد قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيها من فايدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل
في وزن هذه الفايدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص
افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال ه

الوظيفة الخامسة

ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها
والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه
بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس وهو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على
اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله منه الذي هو
طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله في قبض حقه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير آخذ

من الله

من الله رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي
الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع
في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل
ماله اظهارا لحب الله او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين
الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان راى نفسه محسنا اليه تفرع عنه الى ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث
به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة
في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه ه واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب
الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما منشاه
الجهل اما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب
رضاء الله والثواب في الدار الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيفما
فرض فالكراهية لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير
بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمس ماية عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون
ورب الكعبة فقال ابو ذر ومن هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث ه ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله مسخرا له اذ يكتسب
المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو
سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكلها
اعداؤه فاذا مهما انتفت الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له في اداء الواجب وتقييضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله
منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشا المن والاذى ه فان قلت فرؤيته نفسه
في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا ه فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو
ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالا عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق
فان زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببها ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب
احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير
هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب
بالاخلاق كما سياتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه و
يسأله قبوله ذلك حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه لياخذ الفقير
من كفه لتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول
احفظ ما يدعو به ثم كانتا يردان عليه مثل قوله ويقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا وكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه

وقوم

شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون
قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها
هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة
وثبت ذلك بقوله عليه السلام ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها وهذا بقوله عليه السلام لا يقبل الله صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في
كتاب الصلاة **الوظيفة السادسة** ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات
وهو محبط للاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت
صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد
او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان
يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه
فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة
عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان مقامه تقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب
فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته
الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله
وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله
احله واجوده واحبه اليه واجله واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع
وفي حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد
لنفسه او لعبده او اهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان
نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل
فافنى والذي ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى انفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية
وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله
واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل على انه ليس يؤثر الله بشيء
مما يحبه لذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى
لا جرم وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتداء وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار
الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية
فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن

الدنيا

الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى
فيكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ آخر
اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء
كان افضل فقال لا هؤلاء قوم همتهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الي من
اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان
كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك
الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية**
ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك رحمه الله يخص
بمعروفه اهل العلم فقيل لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ
للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا
اخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفي
وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة
مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله
تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة
الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى
البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان
يقل في الاكثر جدواها واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند
الايذاء واحواله متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال
صلعم الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله
بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا
اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ
آخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلعم ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورؤية الاشياء من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن الشرك
الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث
والشكوى او يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف

نعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص
عن أهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى
المجاهرين بالسؤال ٭ الصفة الخامسة أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى
للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربا
في الأرض لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف بهذه الأسباب ٭ كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع
من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال
وقلة المال ٭ الصفة السادسة أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب
ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لأن أصل أخا من إخواني بدرهم أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم
أحب إلي من أن أعتق رقبة ٭ والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع
هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها فإن وجد من جمع جملة من هذه
الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد
فإن أحد أجريه في الحال تطهير نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي
التي تقوي في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار
في الحال والمآل فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني فبهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد
ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم

الفصل الثالث
في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه ٭

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الأصناف
الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمي أو مطلبي أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف
إليهما إذا قبض وليهما فلنذكر صفات الأصناف الثمانية ٭ **الصنف الأول** الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة
على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان
معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنه
في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا
غلو والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب
فإن ذلك يخرجه عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وإن قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله
فهو فقير ولا يعتبر قدرته وإن كان متعبدا ويمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب
أولى من ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وأراد به السعي في الاكتساب ٭ وقال عمر رضي الله عنه
كسب في شبهة خير من المسألة وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير ٭٭
الصنف الثاني المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا

وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يليق
به وكذا كتب الفقيه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت
فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى الكتاب فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة
أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرى التفرج والاستيناس
فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة ٭ وأما حاجة التعليم فإن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة ٭
فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم
المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه أو كتاب وعظ ليطالع
فيه ويتعظ به فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة
فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال ما لا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة
فإذا قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن يقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء ولا ثياب الشتاء
في الصيف والكتب بالثياب والأثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلا إلى إحديهما فإن قال إحديهما أصح والأخرى أحسن
فأنا محتاج إليهما قلنا اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه وإن كانت نسختان من علم واحد إحديهما بسيط والأخرى وجيز
فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحد فائدة ليست في الآخر وأمثال
هذه الصور لا تنحصر ولم نتعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه
الصور غير ممكن إذ يتصدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها
وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويتقحم فيه خطر الشبهات والمتورع
يأخذ بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها إلا الاحتياط
الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب و
المستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجر المثل فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص
كمل من مال المصالح ٭ **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذي أسلم وهو مطاع في قومه وفي إعطائه تقريره
على الإسلام وترغيب نظرائه وأتباعه ٭ **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب
جاز ولا يدفع السيد زكوته إلى مكاتب نفسه لأنه بعد عبد له ٭ **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض
في طاعة أو مباح وهو فقير فإن استقرض في معصية فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو
إطفاء فتنة ٭ **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء
إعانة لهم على الغزو ٭ **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية أو اجتاز به فيعطى إن كان فقيرا
وإن كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته ٭ فإن قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب
ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إني غازم فإن لم يف به

استرد واما بقية الاوصاف فلا بد من امارات البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسيأتي بيانه ان شاء الله

بيان وظائف القابض وهي خمسة الاولى ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرف الزكوة اليه
ليكفي مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي
الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده ليكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله
فتنة وبلية فاقحمه في الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد
الاغنياء ليكون سعي الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء المتجردين لعبادة الله والاستعداد لما بعد
الموت فلا يصرفهم عن ذلك فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق
ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سيأتي بيانه في كتاب الفقر وحقيقته ان شاء الله فليأخذ ما يأخذه من
الله رزقا له وعونا له على الطاعة ولكن ينبغي ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان
به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله **الثانية** ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه
ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق حق من حيث جعله
الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى
الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها حيث قال نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في
دعائه طهر الله تعالى قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى
اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان
كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض نفسه ويفخم
تقلد المنة منه والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع
للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فان من لا يرى
الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع
عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من اموال الاتراك
والجنود وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان
يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال
فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة عن مؤديه وهو حرام **الرابع** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار
ما يأخذه فلا يأخذ الا المقدار المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ بالكتابة والغرامة فلا
يزيد على قدر الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان
كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج للغزو خاصة من خيل وسلاح

ونفقته وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث
بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده
وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك
ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع
الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا
يأخذ مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل
ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهر او حاجة
يومه فهو اقرب الى التقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار
على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل فقال غداؤه وعشاؤه
وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه
ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي و
قوم اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا انه عليه السلام قال من سأل وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسع
فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغني بها لان هذا هو الغنى وقد
قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان يأخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة الف
درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال عليه السلام اجعله في قرابتك
فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما قيل فيه
اما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل
التجويز ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة
فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال
للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قاله صلى الله عليه وسلم اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه
شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها
تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة **الخامسة**
ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه لانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من
الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل واما لتساهل وانما
يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجاته في كتاب
الحلال والحرام ان شاء الله

الفصل الرابع

في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

[illegible]

بيان فضيلة الصدقة من الأخبار روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تصدقوا ولو
بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال عليه السلام ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب
ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله عز وجل يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد وقال لأبي الدرداء
إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف وقال عليه السلام ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله
الخلافة على تركته وقال كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صدقة السر
تطفئ غضب الرب وقال ما المعطي من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ
للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد بإعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال أن تصدق
وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان وقال
عليه السلام يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندي دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال إن عندي آخر قال أنفقه على زوجتك قال إن
عندي آخر قال أنفقه على ولدك قال إن عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال إن عندي آخر قال أنت أبصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة
لآل محمد إنما هي أوساخ الناس وقال عليه السلام ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال لو صدق السائل
ما أفلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم
لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال عليه السلام ليس المسكين الذي
ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرؤوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا وقال عليه السلام ما من مسلم يكسو
مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل ما دام عليه منه رقعة **الآثار** قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين
ألفا وإن درعها لمرقع وقال مجاهد في قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول
اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوي الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم
يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها ب
سبعين ضعفا وإنها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر
بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط صدقة
وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان
المرض وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله
ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا
كان الشيء لله لا يسرني أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم
لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم
ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب
الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص

ويقال

ويقال إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضي
في الحور العين بالفلس واللقمة **بيان إخفاء الصدقة وإظهارها** قد اختلف طريق طلاب الإخلاص
في ذلك فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الإظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن
الحق فيه **أما الإخفاء** ففيه خمسة معان الأول أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة
وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فإنهم
ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من
الذنوب الكبار وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أيوب السختياني إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسد
وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا وعن إبراهيم التيمي أنه رئي عليه قميص جديد فقال
بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته الثالث إعانة المعطي على إسرار العمل فإن فضل
السر على الجهر في الإعطاء أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم إلا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي دفع رجل إلى
بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع إليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال إن هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه فقبلته وذاك
أساء أدبه في عمله فرددت عليه وأعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملأ فرده فقال لم ترد على الله ما أعطاك فقال إنك أشركت غير
الله فيما لله ولم تقنع بعلم الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك
فقال عصيت الله بالجهر فلم أكن عونا لك على المعصية وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك وقال الثوري لو علمت أن أحدهم لا يذكر
صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر
ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره إذلالا للعلم وامتهانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله
الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من أهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبأن يكون ورقا أو ذهبا لا يخرج
عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فانفراده بما يعطى في الملأ
مكروه إلا برضاء جميعهم ولا يخلو عن شبهة فإذا انفرد سلم عن هذه الشبهة **وأما الإظهار** والتحدث به ففيه معان
أربعة الأول الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة والثاني إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة
والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الأخذ على كل حال إن كنت
آخذا فإنك لا تخلو من أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك أو
رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك هو الذي يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت
إذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد
قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات إلى الخلق حضروا أو غابوا نقصان في الحال بل ينبغي أن
يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حكي أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين ذلك فأراد
أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم طائرا وقال له اذبحه حيث لا يراك أحد فذهبوا ثم جاؤوا وقد ذبح كل واحد

طاير ولاذ الى المريد فانه رحطاير حيا فقال له الشيخ مالك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد فان الله
تعالى يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله ع الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى
واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل وقال الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال عليه السلام اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطاه رجل بعض
العارفين شيئا في السر فرفع بيده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الاخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا
اعطيت في الملاء فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلعم من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قايم مقام المكافاة
حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم
قد كافيتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان قد
ذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اي هو مكافاة فالان اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من
اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسيلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل
في كل حال والاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص
مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار
مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر
من اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان
بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه
للصدقة كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او
يتقي انتهاك الستر او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان
انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور
من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد
على الخصوص ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع
اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه
وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر
من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك و
محكه ان ينظر الى نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطاياه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ميل م
ويرغبون في اخفايها وعادتهم ان لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة
في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر
والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكره لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند

ذلك

ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلام
كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال في اخر
اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة
في الخير وقال عليه السلام اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط
اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله علي فاشكر والا فلا تشكر فدقايق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه
فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقايق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان
تعلم مسئلة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيي عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ
في الملاء والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان يكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك
هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكوة

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة المساكين وتضييقا عليهم ولانه
ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في كتاب الله تعالى واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قايلون ياخذ الزكوة دون الصدقة
لانه اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوات لاثموا ولان الزكوة لا منة فيها وانما هي حق واجب لله رزقا لعباده المحتاجين
ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا
ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنها وهذا تنصيص
على ذل الاخذ وحاجته قال الشيخ الامام والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة
من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في
خذ قضايه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذه هو فلياخذ
الصدقة فان الزكوة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة
ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال تم كتاب
الزكوة والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما يتلوه كتاب اسرار الصيام ومهماته

كتاب اسرار الصيام ومهماته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليايه وجنة
وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمينة ظاهرة الشوكة
في قصم خصمها قوية المنة والصلاة على محمد قايد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم
كثيرا اما بعد فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه السلام الصبر
نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين ساير الاركان اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة

بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم
نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلعم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم
اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلعم
للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان
فرحة عند افطاره وفرحة عند لقائه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال نوم الصائم عبادة وروى
ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد
يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصوم
اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان
الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي
وقال في الصائم يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ
للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا ولا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة
اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك
وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن
بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال عليه السلام لعايشة
داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسياتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات ان شاء الله فلما
كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله ففي قمع عدو الله
نصرة لله ونصرة الله موقوفة على النصرة له قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد
والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف
للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا
الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه
الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلثة فصول

الفصل الاول

في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلثين من شعبان ونعني بالرؤية
العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق

بقوله

بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير
باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثاني**
النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل
ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض
مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست
جازمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب حال كالشك
في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان
باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور
فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل
النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت الحائض ثم طهرت قبل
الفجر صح صومها **الثالث** الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة
ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق
او ذبابة تسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا
فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي الليل ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه
القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد **الرابع**
الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر
وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة **الخامس** الامساك عن الاستمناء وهو اخراج
المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا
او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره **السادس**
الامساك عن اخراج القيء فالاستقاءة تفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او
صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر حينئذ واما اللوازم بالافطار فاربعة
القضاء والكفارة والفدية وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر
او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان
ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب به كفارة والكفارة
عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه
ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر طويل مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال
عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم

صابما واما الفديه فيجب علي الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا علي ولديهما لكل يوم مد حنطه لمسكين واحد مع القضا والشيخ الهرم اذا لم يصم يتصدق عن كل يوم مدا واما السنن فستة تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الما قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في رمضان لما سبق من فضايله في الزكوة ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لاسيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوي الفراش وشد المئزر ودأب وداب اهله اي اداموا النصب في العبادة لان فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار بها ليلة احدي وعشرين وثلث وعشرين وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولي فان نذر اعتكافا متتابعا ونواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او لشهادة او لجنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضا الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج علي شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح ولا بالاكل والنوم وغسل اليدين في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع لخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني راسه فيرجله عايشه وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضا حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوي اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

وهذا عند الشافعي

لقوله عم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة

الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الي كل ما يذم ويكره والي كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصايم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت او شغله بذكر الله وتلاوة القران فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صايما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صايم اني صايم وجاء في الخبر ان امراتين صامتا علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلعم

تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيا فيه ما اكلتما فقات احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقات الاخري مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلعم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا علي ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الي الاخري فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء الي كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال انكم اذا مثلهم وقال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصايم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الي تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الاثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي جوفه فما من وعاء ابغض الي الله من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادة بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيوكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوي وكسر الهوي ليتقوى النفس على التقوي واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الي العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساه كان راكدا لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوي التي هي وسايل الشيطان في العود الي الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الي ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوي فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الي ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي تنكشف فيها شي من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شاء الله تعالى السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السارعون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه والمسي باسائته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه فهذه هي

المعاني الباطنة في الصوم. فإن قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه
فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة
وأمثالها ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فأما علماء الآخرة فيعنون
بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله وهو الصمدية والاقتداء
بالملائكة في الكف عن الشهوات والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لا
ستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما
قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من الله والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب
من الله كقربهم فإن الشبيه من القريب قريب وليس ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب
وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله
جدوى فأي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ولهذا قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الأكياس
وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك
قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر
هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كمن مسح كل عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في ظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة
عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة لإحكامه الأصل
وإن ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما الصوم
أمانة فليحفظ أحدكم أمانته ولما تلا قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع
أمانة والبصر أمانة ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال فليقل إني صائم أي إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك فإذن قد
ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن
اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب.

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل أسبوع
أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم وجميع الأشهر الحرم مظان
الصوم وهي أوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان وفي الخبر أفضل الصيام بعد
شهر رمضان شهر الله المحرم لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام
أفضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام وفي الحديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة
والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب أن يفطر قبل
رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز أن يقصد

استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان. والأشهر
الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان. والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد وأفضلها ذو
الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم
والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام
سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد إلا من عقر جواده وأهريق دمه. وأما ما يتكرر في
الشهور فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وأما في الأسبوع فالاثنين و
الخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجرها ببركة هذه الأوقات. وأما صوم
الدهر فإنه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما كره
لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه
مع أن الله يحب أن تؤتى رخصه فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتا
بعين لهم بإحسان. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن
له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد
في فضله أخبار لأن العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها و
قلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت. وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما
ويفطر يوما. ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول إني أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام صم يوما
وأفطر يوما فقال إني أريد أفضل من ذلك فقال لا أفضل من ذلك. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان بل
كان يفطر منه. ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر
وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث. وإذا
ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه بدقائق الباطن
ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم فإذا فهم المعنى وتحقق حده
في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم كان
يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له
بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات وقد كره العلماء أن يوالي بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق
وذكروا أن ذلك يقسي القلب ويولد رديء العادات ويفتح أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في النهار
والليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله أعلم.

تم كتاب الصوم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
ويتلوه كتاب أسرار الحج ومهماته

كتاب أسرار الحج ومهماته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا و تخصيصا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله و صحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومباني عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضائلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله في ثلثة ابواب

الباب الاول في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرايطها ووجوبها ٩٤

الباب الثاني في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبداء السفر الى الرجوع ٩٧

الباب الثالث في ادابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة ١٠٢ فلنبدا بالباب الاول وفيه فصلان

الفصل الاول في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المشاهد ٩٦

فضيلة الحج

قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر الله عز وجل ابرهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه فاسمع الله تعالى نداءه كل من يريد ان يحج من الذرية الى يوم القيامة وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال ايضا ما رئى الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كان في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد اسألك حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال عليه السلام الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت

فانه من

فانه من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية

يوم علينا لجعلناه يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروى ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا فقال

رايت رسول الله في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوى فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال افتدري ما ذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخاء والاسخياء وانا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته

صلعم

فضيلة البيت ومكة

قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة

فوقه

وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروى انه عليه السلام سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى

عن الحسن البصري ان صوم يوم بمكة بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف وكذلك كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع تعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر عمرة في رمضان كحجة معي وهذا مذكور في الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء فقال رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا يطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروى علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره

فضيلة المقام بمكة وكراهته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث مقت الله لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه السلام

الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

فضيلة المدينة وسائر البلاد

ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والاعمال فيها ايضا تتضاعف وقال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة وكذا سائر الاعمال وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد المدينة بعشرة الف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بالف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على شدتها ولاوائها كنت له شفيعا يوم القيامة وقال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاثة فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصالحين وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيها مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلماء والاولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحيوة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعله بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت ببلد فيه رخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الانسان من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل الشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني فقال اوصيك بثلاث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته

اما الشرائط فشرط صحة الحج شيئان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة

وعشر من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك
ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية
والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي والعبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة
الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الا شاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج
نفلا عن الحر البالغ فهو براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل
وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن
لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل باعمال حج او عمرة واما
الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان يكون خصبه آمنه بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر
واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في
هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة او كراء بمحمل او زاملة ان استمسك على الراحلة واما النوع الثاني فاستطاعة
المعضوب بماله وهو ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام في نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن اذا
عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على
الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك
الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج
الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية
على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل
ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال
الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج **واما الاركان التي**
لا يصح الحج الا بها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة
بالدم ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه دم شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس
والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب
واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل
الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة
وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف
فسعيه محسوب من النسكين واما الطواف فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون
مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته لان ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات
الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر

فيها الصلاة الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج
الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام
في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا او متفرقا
وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران **واما محظورات الحج** والعمرة فستة
الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد ازارا فسراويل ولا
بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان حرمه في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما
يماسه فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما دم
الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه
بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض
الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني
ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني

في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل

الجملة الاولى

في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمان الاولى في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء
الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه به
وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه وليشتري لنفسه دابة
قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل وكثير ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان
يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه واخوانه
المقيمين وليلتمس ادعيتهم فان الله جاعل له في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلعم
يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا
هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص
صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة و
عاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزق فا
في سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب و سفرنا
سوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا واياهم من عافيتك الرابعة
اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل
علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك
وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني

الا بقي ولا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات ثم قال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون ذلك عونا له على السير ومهما اشرف على منزل فليقل اللهم رب السماوات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فانه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج والحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السماوات بالعزة والجبروت

الجملة الثانية

في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح راسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين والابيض هو احب الثياب الى الله ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رئي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلعم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدئ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كيف ما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة

الجملة الثالثة

في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رحمه الله في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كدى بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها فالتاسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسالك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك واسالك مسالة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك السادس ان يقبل الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم

الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف **الجملة الرابعة** في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم
او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة الاول ان يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة
فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه الايمن ويجمع
طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها
الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع
الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكن لا يكون طايفا على
الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس بها والطايف عليه لا يصح طوافه لانه طايف
في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف **الثالث** ان
يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن
امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت
ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا
والاخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق
وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم
اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا و
ذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال
اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والاخرة
ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار
فاذا بلغ الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك يتم شوط واحد
فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط **الرابع** ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربعة الاخيرة على
الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع
اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت
فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا
وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب
من بين ساير الاركان وروي انه عليه السلام كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد التخصيص
الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني المس باليد فهو الاولى اذ هو اشهر في الرواية
الخامس اذا انتهى الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة

الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل
اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما اتيتني
اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العايذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا
الموضع وليصل على رسوله محمد وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوايجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول
لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي **السادس** اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الاولى قل يا ايها الكا فرون
وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين
جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى
واغفر لي في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن
يحبك ويحب ملايكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملايكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني
للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه
وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذه كيفية الطواف والواجب
من جملته بعد شروط الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدئ بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل
المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو
سنن وهيات **الجملة الخامسة** السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الر كن
اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليه حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج محد ثة
فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي
ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده
وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا
دايما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلعم
ويدعو الله بما شاء من حاجة عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الاعز الا كرم
اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد
الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى
الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة

واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل
نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة
بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما
ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان ۞ **الجملة السادسة** في الوقوف وما
قبله الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف
القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منا
يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من
يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منا ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف
افضل واكد فاذا انتهى الى منا قال اللهم هذه منا فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنا وهو مبيت منزل
لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط
واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني و
افضل فاذا انتهى الى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف
ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة
الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح
الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم فصدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم
يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا
القبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى
على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل المستحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة
الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن
من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم
يقضي وليكن اهم اشغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء الماثور عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري
ويسر لي امري ويقول اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مابي واليك
تراثي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار
وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى
واغفر لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود واسنى منزول عليه واكرم مسؤول ما لديه اعطني العشية افضل ما اعطيت احدا من خلقك

وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رافع الدرجات ويا منزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت الاصوات بصنوف اللغات اليك صح
يسالك الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلى اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا
يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال
المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني
بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم نفسي الهي اخرست المعاصي
لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان
لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في
جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك
فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك
علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام
اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء
الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك
من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك نجاح حوائجه راج لك في موقفه مع كثرة ذنوبه من صح
فيا ملجا كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك
املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم
ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على
السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك
الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل
مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام
وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى
نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السموات والارضون
بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساءت عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت و
قبلت واذا عصينا سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا
ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم
الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف
الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت
اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا

وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان تقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من
لا تغلطه المسايل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا يضجره مسئلة السايلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك
وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله تعالى لا يتعاظمه شي
قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي وقال بكر المزني قال رجل لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم
لولا اني كنت فيهم

الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف

فاذا افاض من عرفات بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما
فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في
الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوايج مؤتنفة فاجعلني ممن
دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما
نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل
الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرايض واذا جاز
ان يؤدي النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل الفرض
في جواز ادائه على الراحلة لما اومانا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف
الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل اخذ في التاهب
للرحيل ويتزود الحصى منها فان فيها احجارا رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه
وليكن الحصا خفافا بحيث يحتوي عليه اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام والبيت
الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس
حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح
يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما
يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر مواقع الجمرات
ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات
رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية
والتكبير الا التكبير عقيب فرايض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح اخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعا
بل يدعو في منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا
الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر

ثم ليذبح

ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابرهيم
والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة او البقرة والضان افضل من المعز قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل في الاضحى من
دم سوداوين وليأكل منه ان كان هدي تطوع ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة
والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوايم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق و
الخرقاء من اسفل والمقابلة المخرومة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم يحلق
بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدي بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول
اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر من شعرها والاصلع يستحب له امرار الموسى
على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة
ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته
يوم النحر ولا اخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف
تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل
الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن
سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلثة الرمي والحلق و
الطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلث فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير لهذه الثلاث
مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول
وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي
فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس
اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين
الجادة ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى و
يقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى
هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة
كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شي عليه وان صبر الى الليل
فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدى وعشرين حصاة كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة
دم ليتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن
حضور الفرايض مع الامام في مسجد الخيف فان فضل ذلك عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر

والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وان لم يفعل فلا شيء عليه

الجملة الثامنة

في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر بعد حجه او قبله كيفما اراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت واذا دخله فليصل بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف فكيف اراهما اهلا لان اطا بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر من شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له اي يشفي ما قصد به

الجملة التاسعة

في طواف الوداع مهما عزم الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فليفرغ اولا اشغاله وليشد رحله وليجعل اخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب ماء زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا والا فمن الان قبل ان تنائ عن بيتك داري هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والاخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا اخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته اخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة

في زيارة المدينة وادابها قال النبي صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال عليه السلام من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي جنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجد الاول قبل ان يزاد فيه ثم ياتي قبر النبي عليه السلام فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله

بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد ادم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المؤمنين جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الاولين والاخرين افضل واجل واكمل واعلى واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر رضي الله عنه عند منكب ابي بكر ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلعم بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي صلعم حتى يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضوان الله عليها ويزور قبر ابرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله فذلك كله في البقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عدل عمرة وياتي بئر اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من مائها وياتي مسجد الفتح

وهو على الخندق والذي يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها اهل البلد صلى الله عليه وسلم
ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان عليه السلام يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلعم
وان امكنه المقام بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا
يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة
ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويسأل الله ان يرزقه العود اليه ويسأله السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلعم قبل
ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد
بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري ويسر رجوعي الى سالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلعم
بما قدر عليه ويتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا

فصل في سنن الرجوع من السفر

كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا
اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم
بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله
به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته
ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة
بيان دقائق الآداب

وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا
وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي
في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة
وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص
لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده
المقام بمكة ولم يكن ما يبلغه فلا بأس ان يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان
يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله تنزل قوله عليه السلام يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة
الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى
ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى ويأخذ
اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا بأس باخذه فانه يأخذ ليتمكن

من الحج والزيارة وليس يحج ليأخذ الاجرة بل يأخذ الاجرة ليحج كما كانت ام موسى تأخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني ان لا يعاون اعداء
الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم
وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل
بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على
المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر
اسباب الترفه فيكثر مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب
النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين
فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة
درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم
الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق و
الجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن
الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال
هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه
وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض
على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف
الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر



الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما اراك تعرفه الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه
عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال
الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من
دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء
الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤونة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس
مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب
له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا
بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء فالمشي له افضل وكأنه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة
فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا
اذا كان يخاف ان لا يستمسك على الزاملة لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين

والمتكبر بل حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة
لينظر الناس الى هديه وشمايله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى
سفيان الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات
ورواحل وما رايت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير
ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج السابع ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر مستكثر من الزينة
ولا مايل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد
امر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل
يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاوني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث و
الاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان
واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زينته
على الخصوص والشهرة كيفما كان على العموم فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر
على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل الثامن ان يرفق بالدابة
فلا يحملها ما لا يطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يوذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن
قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة
وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل
عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا يطيق طولب
به يوم القيامة قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة ففي
كل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح للدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك
احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استاذن الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع عن حمل كتاب لا وزن له وهو طريق
الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد
ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا ياكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير
الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرايه فقد كانوا يغالون
في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله روى ابن عمر ان عمر رضي الله عنه
اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها
عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة
في القيمة كثر العدد ام قل وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن
وروت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عمل ادمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم

القيامة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا به نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل
قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران
ومصيبة في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة
وهو بمثابة الشدايد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب ولا يضيع منه شي عند الله ويقال ان من علامة قبول
الحج ايضا ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو واللغو مجالس الذكر واليقظة

بيان الاعمال الباطنة

ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار
فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى اخره اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج من الدين ثم الشوق اليه ثم العزم
عليه ثم قطع العلايق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام
من الميقات بالتلبية ثم الدخول بمكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه
للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من
اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه

اما الفهم

اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه
عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد
الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا لله اللذات الحاضرة
والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا
يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فساله اهل الملل عن الرهبانية في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا بها الجهاد والسياحة
والتكبير على كل شرف يعني الحج وسيل عن السايحين فقال هم الصايمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية
لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات
كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق
ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن
ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها
اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار
وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي
هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئة التواضع و
للنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس فيها ولا انس للطبع
بها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع
فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه وان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون

فلك الليل معينا للاجر وباعثا معه على العمل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة
حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان
يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات
في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا انفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة
مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج **اما الشوق** فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان
البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته
فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار
الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله ولا يطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الاخرة بالبقاء
ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه يستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم
فالشوق الى لقاء الله يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب يشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى
الله تعالى فبالحري ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **اما العزم** فليعلم انه
بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والولد والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر
رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب
الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره
فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو
خير **واما قطع العلايق** فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة
مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين
به ومهمل له او لا تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره
ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه
قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء
وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلايق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله
واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه العلايق لسفر الحج قطع العلايق لسفر الاخرة
فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل
عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **واما الزاد** فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على
استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الاخرة اطول من هذا
السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي
يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله التي هي زاده الى الاخرة لا يصحبه

بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير **اما الراحلة** اذا احضرها فليشكر الله سبحانه بقلبه على تسخير
الله له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار الاخرة وهي الجنازة التي يحمل
عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الاخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك
المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمازة وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر
اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن
واما شراء ثوب الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم
سفره اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله الا مخالفا لعادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله
بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط ولا محيط كما في الكفن **واما**
الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد
واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا
واستنهضوا فقطعوا العلايق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت
عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله
في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته
المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا اليه اذ قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره
على الله **واما دخول** البادية الى حين وصوله الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر به ما بين الخروج من الدنيا
بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع
البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن
في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر **واما الاحرام** والتلبية من الميقات فليعلم ان معناه اجابة نداء
الله تعالى فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الخوف والرجاء مترددا وعن حولك وقوتك
متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما
احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقال لي
لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان
الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته كالغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام
مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله
عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات
اجابة لنداء الله تعالى اذ قال تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا نداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في
عرصات القيامة مجيبين لنداء الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء

وقوف

تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **واما دخول مكة** فليتذكر عنده انه قد انتهى الى حرم
آمن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه
في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع **واما وقوع البصر على**
البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر انك مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمك وارج ان يرزقك الله النظر الى
وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه
واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول والى مصروفين
انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر الآخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الآخرة
واما الطواف بالبيت فاعلم انه صلاة واحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة
واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت
بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدي الذكر الا منه ولا يختم الا به كما يبتدي الطواف من البيت ويختم
بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا
يشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب
وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في
السماوات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا
بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا ان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره
وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله **واما الاستلام** فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك
على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله في الارض
يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه **واما** التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب
حبا وشوقا الى البيت والى رب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر
الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه
الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل **واما السعي بين الصفا و**
المروة في فناء البيت فانها تضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء
للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد
على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده
بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا
الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران **واما الوقوف بعرفة** فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع
الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتداء بهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة

واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد
والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق
رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة
من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا
اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء
ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك
قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال و
الاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق في استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون
القلوب في وقت واحد على صعيد واحد **واما رمي الجمار** فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية
وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم صلوات الله عليه حيث عرض له ابليس
في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان
خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من
الشيطان وانه الذي القاه الى قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب
فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمر في الرمي فيه برغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة
وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعظيما لمجرد الامر
من غير حظ للنفس والعقل فيه **واما ذبح الهدي** فاعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فاكمل الهدي واجزاءه وارج
ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك
به من النار اعم **واما زيارة المدينة** فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز
وجل لنبيه عليه السلام وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض الله وسننه وجاهد عدوه واظهر بها
دينه الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطاه الا وهو موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه
الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه
من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم
تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا
وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عمالك
كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع لي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا
بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تامن ان يحال بينك وبينه لعدو

ك

وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه
واعظم بان اشكل على ما فاتك من صحبتهم

عملك

ولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان الله لا يحول بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له ولشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتك رؤيته فما اجدرك ان ينظر الله اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله عز وجل اول ما اقيمت في تلك العرصة وانه جمع افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك اياه وادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني رحمه الله ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد مدفون واشار بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفاء بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه عليه بالصلاة بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول عليه السلام وتوهم صعود النبي عليه السلام ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته واسال الله ان لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذا وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه اثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس واذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله من ذلك

تم كتاب الحج والاسرار والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الطاهرين

كتاب تلاوة القران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل عليه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وامام حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء الصدور من خالفه من الجبابرة

قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند اهل العلم تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والاخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به فكل من امن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام باداب وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة ابواب

الباب الاول في فضل القران واهله وذم المقصرين في تلاوته فضيلة القران

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيرهما وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القران في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القران وقال ايضا ان الله عز وجل قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال عليه السلام خيركم من تعلم القران وعلمه وقال عليه السلام يقول الله عز وجل من شغله قراءة القران عن دعائي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال عليه السلام ثلثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون وقال عليه السلام اهل القران اهل الله وخاصته وقال ان هذه القلوب تصدا كما يصدا الحديد قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال تلاوة القران وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قارئ القران من صاحب القينة الى قينته

الاثار قال ابو امامة الباهلي رضي الله عنه اقرؤا القران ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القران وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا اردتم العلم فانثروا القران فان فيه علم الاولين والاخرين وقال ايضا اقرؤا القران فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسال احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص القران درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه القران اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رحمه الله رايت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القران من الرحمن عز وجل يوم القيامة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض رحمه الله

كتاب الله

الشياطين

ينبغي لحامل القران ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان تكون حوايج الخلق اليه وقال ايضا حامل القران حامل
راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القران وقال سفيان الثوري اذا قرا الرجل
القران قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرا مائة اية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا
ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان و
ايتاء ذي القربى الاية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القران من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر حين
يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قراها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم
بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك هاهنا احد تستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراة القران

في ذم تلاوة الغافلين

قال انس بن مالك رب تال للقران والقران يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القران في جوف الفاجر وقال ابو سليمان الداراني الزبانية
اسرع الى حملة القران الذين يعصون الله منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القران وقال بعض العلماء اذا قرا ابن ادم
القران ثم خلط ثم عاد يقرا قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القران لانه بلغني ان اصحاب
القران يسالون عما يسال عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القران ان يعرف بليله اذا الناس نائمون
وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه
اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القران ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا
وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال اقرا القران ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقراه وقال بعض السلف
ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك فقال اذا احل
حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرا الا لعنة الله
على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القران مراحل وجعلتم
الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسايل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها
بالنهار وقال ابن مسعود رضي الله عنه انزل القران عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرا القران من فاتحته الى
خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان
قبل القران فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رايت
رجالا يؤتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما امره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده
منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التورية يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل
عن الطريق وتقعد لاجله وتقراه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شي منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك
فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي

يقال ان للقران لطلاوة اي بهجة وحسنا وقبولا في القلوب مغرب

يقعد

يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه
اومات اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

الاول

في حال القاري وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قايما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير
متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرا في الصلاة قايما
وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرا على غير وضوء او كان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون
ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود
ثم الذكر مضطجعا قال علي كرم الله وجهه من قرا القران وهو قايم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرا
وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرا في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرا
على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود
بالنهار وان طول القيام بالليل

الثاني

في مقدار القراة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من
يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من قرا القران في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد
قالت عايشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القران هذا ان هذا ما قرا القران ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر
ان يختم القران في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القران في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب
ففي الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار كما
ان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احديهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقرب من الثلث
والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة
في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختمتيه اول النهار واول الليل فان الملايكة تصلي عليه ان كان ختمته ليلا حتى يصبح وان
كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراة انه ان كان من العابدين السالكين
طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر
العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى
كثرة الترديد والتامل

الثالث

في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القران بسبعة احزاب فقد
حزب الصحابة رضي الله عنهم القران احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المايدة وليلة
السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثاء
بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود رضي الله عنه كان يقسمه بسبعة
اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القران سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث

سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدي عشر سورة والسادس ثلث عشر سورة والسابع المفصل من قاف فهكذا حزبه الصحابة وكانوا
يقرأونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل ان تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا فهو محدث
الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القران وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين و
تبيين وصد عن اللحن والخطاء لمن يقراه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن
الشعبي وابرهيم كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القران والظن بهؤلاء انهم كرهوا
فتح هذا الباب خوفا من ان يودي الي احداث زيادات حسما للباب وشوقا الي حراسة القران عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد
الي محذور واستقر الامر فيه علي ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة
التراويح في الجماعة انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد يفضي الي
تغييرها وبعضهم كان يقول اقرا من المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القران مجردا
في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط علي الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى
الاي فقالوا لا باس به يعرف به راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتيم والفواتح قال ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط
المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلم بالعربية قال اما اعراب القران فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت
علي ابن سيرين فرايته يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء
حتى عدوا كلمات القران وحروفه وسووا اجزاءه وقسموا الي ثلثين جزءا والي اقسام اخر **الخامس** الترتيل هو المستحب
في هياة القراءة لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلعم
فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس لان اقرا البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله ان صح
هذرمة وقال ايضا لان اقرا اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وال عمران تهذيرا وسئل مجاهد
عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة فقط وقرا الاخر القران كله فقال هما في الاجر سواء
واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القران يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الي
التوقير والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس** البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران وقال صالح المري قرات
القران علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان
فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشا
البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد
والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب
القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب **السابع** ان يراعي حق الايات فاذا
مر باية سجود سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان علي طهارة وفي القران اربع عشر سجدة

وفي الحج

وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقلها ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق
بالاية التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك واذا قرا قوله ويخرون للاذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة
ع شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع
فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريمة ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا
اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر في السجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك
ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه **الثامن** ان يقول في مبدا قراءته اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس
وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه
الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار
دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله
اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا سورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ
ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه عند ختم القران اللهم ارحمني
بالقران واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل والنهار
واجعله حجة لي يا رب العالمين **التاسع** في الجهر بالقراءة ولا شك انه لا بد وان يجهر به الي حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن
تقطيع الصوت بالحروف فلا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على
وجه ومكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة
صدقة صح السر على عمل العلانية وفي لفظ اخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر
على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب
والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت
فقال لغلامه اذهب الي هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته
وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله
شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلعم
سمع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته
فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الي قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي
بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الو سنان سنان

وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من خاف ذلك على نفسه وان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته يتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون من المصاحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح

العاشر تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك كنت تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ النبي صلى الله عليه وسلم في منامه قال فقال لي انت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا في الصلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

الاول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى يأتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فسأله الملك عن امور فاجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارأيت ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي يطيقون حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تواضعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام علي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم بين يدي شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوان الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه

الثاني التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرأه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كتاب الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف

ورقته محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا
كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه
كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي
هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله فاذا خطر
بباله العرش والكرسي والسماوات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها و
القادر عليها واحد وان الكل في قبضة قدرته مرددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب
فبعدله وانه الذي يقول هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال
هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في التفسير يا يحيى
خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا
قرات القران تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القران احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرا سورة ولم يكن
قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل
عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج
في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القران ميادين وبساتين وعرايس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين
القران والرات بساتين القران والحامدات مقاصيره والمسبحات عرايس القران والحاميمات ديباج القران والمفصل رياضه
والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القاري الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديباج و
تنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو
وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة
التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا
في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام باية
اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع
وهو متفكر في آية قراها فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في امر الدنيا فقال
لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك
فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن
فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا بسم الله الرحمن الرحيم فردده
عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة فقام باية يرددها وهي
ان تعذبهم فانهم عبادك الاية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات وقال بعضهم اني لافتتح
السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا

اعدلها

اعدلها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها
ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين
لي في كل جمعة ختمة ولي في كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة ومسابعة ومساناة **الخامس**
التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه وذكر
احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسماء و
الصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي كرم الله وجهه بقوله ما اسر
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يوتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم
وقال ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم القران تحت اسماء الله وصفاته اذ لم
يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض
وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون
الفعل فمن عرف الحق راه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه
ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل
ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق
الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرا التالي قوله افرايتم ما تحرثون افرايتم
الماء الذي تشربون افرايتم النار التي تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في
المني وهي نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال
المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل
وغيرها ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى او
لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه العجايب ليترقى منها الى اعجب العجايب وهو الصفة التي
منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبياء فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا
وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا
سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن
فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل
فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القران فلا يمكن استقصاء ما يفهم
منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات

السطوة القهر بالبطش

ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا
من تفسير الفاتحة فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران
ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا
قال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى
يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد **السادس** التخلي عن موانع الفهم
فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القران قال صلعم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومعاني القران من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم
يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها
وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله تعالى فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه
لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا
لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع
من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يتجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار
نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة و
قال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابائك فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله
ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات
جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة
فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار التقليد
فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو
استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل
وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله
مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن
والظاهر في كتاب قواعد العقائد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى مطاع فان في الدنيا
ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب
الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا
قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصداء ومعاني القران مثل الصور التي تتراءى في المراة و
الرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمراة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار و
الدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القران وقد

شرط الله

شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا
الالباب والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد
قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك
تفسير بالراي وان من فسر القران برايه فقد تبوا مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالراي
في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي كرم الله وجهه الا ان يؤتي الله العبد فهما في القران وانه لو كان المعنى هو
الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران فان
سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر
غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفائدة في حق
النبي وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء و



صبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لـ
خاصة بل شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة
الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وانزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى
وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا الواحد القاري مقصود فما له ولسائر الناس
فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما
كلمه الله عز وجل واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل قراه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله
ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض الحكماء هذا القران رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف
عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل
ن القران ان القران ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القران الا قام بزيادة او نقصان
قال الله عز وجل هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة
بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت
معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على ايات القران فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط
يقصر العارف عن نيلها كقوله واني لغفار ثم اتبعه ذلك باربع شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع
شرائط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا
من يتصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال
الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه

وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيا
ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراة القران وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية
المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر
كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار
ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا او صاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم وعند وصف الجنة
ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرايصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود
اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا رايت عينيه
تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخايفين من
خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات فبمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال
اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خايفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا ولم حاله التوكل
والانابة كان حاكيا واذا قرا ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة — يكن صح
فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في
قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي
قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون الى غير ذلك من الايات
وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني الا التلاوة المجردة وفي قوله وكاين من اية في
السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القران هو المبين لتلك الايات في السماوات والارض ومهما تجاوزها
ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرا القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي
وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرا القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات
وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان
ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القران فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت
فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبيس ما يشترون
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا القران ما ايتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه
وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقال صلعم
ان احسن الناس صوتا بالقران الذي اذا سمعته يقرا رايت انه يخشى الله عز وجل وقال ايضا لا يسمع القران احد اشهى منه — من صح
ممن يخشى الله عز وجل فالقران يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب وللعمل به والا فالمونة في تحريك اللسان بحروفه
خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرات القران على شيخ لي ثم رجعت لاقرا ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب
فاقرا على الله عز وجل فانظر بماذا يامرك وماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله
صلعم

عن عشرين

عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القران منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي
يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القران فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه واما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها
على القلب عقيب فهم الاية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد
بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القران حق تلاوته
ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب
الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ **التاسع** الترقي واعني به ان يترقى
الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقراه على الله تعالى
واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السوال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يعلم
بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى
في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه
بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما
قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال
والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه
فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل
هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه
صلعم — من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله
ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة
لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القران وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك
قال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا
لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر فمن لم يره في كل شيء فقد راى غيره وكلما التفت اليه العبد بغير الله تضمن التفاته شيا
من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله تعالى **العاشر** التبري واعني به ان يتبرا من حوله وقوته والالتفات
يقين — الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصد
فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا
ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تعالى ان الانسان
لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة فاذا

راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمان بن ابي سليمان الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل م

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القران على خلاف ما نقل عن ابن عباس وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القران سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقران الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران متسعا لارباب الفهم قال علي كرم الله وجهه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال آخر القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومايتي علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبر باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القران وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القران شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القران اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجعة الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف فيه الخلايق في النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال عليه السلام اقرؤا القران والتمسوا غرايبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق نبيا لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلثا فقال ثلثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القران فسر جمل العلم اشار به الى ان القران يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القران وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما سمى ما آتاهما علما وحكما وخص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار من النهي عن تفسير القران بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوايل السور سبعة اقاويل فقيل الر هي حروف من الرحمن وقيل الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم ان ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن

اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه
اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح
فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلام تسحروا فان
في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال
الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة
تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل
فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مراده به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون
المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق قد يخصص باسم الراي الوجه للهوى صح
الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة
والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد
فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القران بالراي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط
ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم
انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم
التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر
التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله واتينا
ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت
مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او ظلموا انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل
فحذف الحب وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات فحذف العذاب وابدل الاحياء الموتى
الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله وسئل القرية التي كنا فيها والعير اي اهل القرية فالاهل محذوف مضمر
وقوله ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على و
اضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة
رسلك فحذف الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القران وما سبق له ذكر وقال تعالى حتى توارت بالحجاب اراد الشمس
وما سبق لها ذكر وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك فانه لم يرد هذا
كان مناقضا لقوله تعالى قل كل من عند الله ويسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين
اي طور سيناء سلام على الياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل
الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من

دون الله

دون الله شركاء الا الظن وقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه الذين استكبروا لمن امن من
الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه
لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسالونك كانك حفي عنها اي يسالونك عنها
كانك حفي وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق
قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال الغنايم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون
فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله تعالى حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه ومنها المبهم
وهو اللفظ المشترك بين معاني من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظايرها قال تعالى ضرب
الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر
بالعدل والاستقامة وقوله فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السوال عنها
حتى يبتدي بها العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق
شيء الا من شيء واما القرين فقوله تعالى قال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته
اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبيا
كقوله نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله ان ابرهيم كان امة والامة الدين كقوله تعالى انا وجدنا
اباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة
اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال
هذه امة زيد اي ام زيد واما الروح فقد ورد ايضا في القران على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد تقع الابهام في الحروف
مثل قوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن
الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله فانزلنا به الماء يعني بالسحاب فاخرجنا به من
كل الثمرات يعني بالماء وامثال هذا في القران لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران
اي صح اذ لم يظهر به انه ليلا ام نهارا وبان بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر انه في اي ليلة فظهر بقوله انا انزلناه في
ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقران من اوله الى
اخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب وكان مشتملا على اصناف كلامهم من المجاز وتطويل واضمار وحذف
وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القران ولم يستظهر
بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القران برايه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه
في موضع اخر مال رايه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني
كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقايق المعاني وندرك
الفرق بين حقايق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة

معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم
رماه الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو
المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير و
ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة
صدق قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته و
لواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في
العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد
في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا لكلمات الله لا نهاية لها فنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب
القلوب من قوله عليه السلام في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض
فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما
استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت
كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود
ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر
التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم

تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد النبي وعلى آله الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب الاذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى اذكروني اذكركم
ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والقاصي والداني في الانبساط الى حضرة
جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان والصلاة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه
وخيرة اصفيائه وسلم كثيرا اما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله ورفع
الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة
الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة
او غيرها ونحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة

الباب الاول في فضيلة الذكر

على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله تعالى فاذكروني اذكركم
قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا
وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم
آباءكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة
والسر والعلانية وقال الله تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال الله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا و
خيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان
ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات واما الاخبار فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال عليه السلام ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل
عن الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال ايضا ما عمل ابن آدم من عمل انجى له
من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع
ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك
رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف
في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال عليه السلام قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني
في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت
اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم
وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم
ويضربون اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من شغله ذكري
عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين واما الآثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال يا ابن آدم
اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت
على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران
ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا

وقف

عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها وبالعونة

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سياتكم حسنات وقال ايضا ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود عليه السلام الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة ان اهل السماء ليتراون بيوت اهل الارض التي ذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم فقال فماذا رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرون القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف لو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول فاني اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم

فضيلة التهليل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عليه السلام ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال عليه السلام لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال عليه السلام يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب

هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال عليه السلام لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شراد البعير على اهله فقيل يا رسول الله من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الاخرة الجنة وكذا قوله للذين احسنوا الحسنى وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلعم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتبت له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسماعيل وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملات ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملات ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله سل تعطه وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال لقد رايت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش

لدوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن او لا يحب احدكم ان لا يزال عند الله ما يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال
لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد لا حول ولا قوة الا بالله
وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك
بايهن بدات رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان
والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والله اكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء
والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الكلام احب الى الله تعالى قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون
حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى اخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله
وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون
كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة
وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة وفي
بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه
فيها وزر كذلك اذا وضعها في حلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر
يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا
من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلثا وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيامة وقال
ابن عمر رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهدا انه
عليه السلام قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا
الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق
عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم
ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى اولا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم على من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم
من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وفي رواية
من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك

كفيت

كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما سبيلكم اليه قد هدي وكفي
ووقي فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها
فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع
حضور القلب فاما الذكر والقلب لاهي فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول
عن الله تعالى مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات
بل به تشرف ساير العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه
الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس
الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان
تذكر غايبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق
بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر
ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه
آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القران عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا
يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف
طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه
حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا آخرا ثم
اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر اهل ولا
مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه اذ
ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عايق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته و
تخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب
ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به
العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور
ولا تنكرن بقاء ذكر الله معه بعد الموت فتقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا
وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران
او روضة من رياض الجنة وبقوله عليه السلام ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان
وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف
يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا

والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين وأما المؤمنون والشهداء فقد قال أرواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولأجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله الأنصاري يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ألا أبشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت أعطيكه فقال يا رب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال تعالى سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلب ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فإن القلب وإن ألزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن عليه بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه وأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل المال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشية الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار وذكر مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصا ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز إلى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني أستجب لكم وقال عليه السلام الدعاء مخ العبادة وروى

أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له وقال أبو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي من الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعاء وهي عشرة

الأول أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالأسحار هم يستغفرون وقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقيل إن يعقوب عليه السلام إنما قال سوف أستغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله إليه إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء

الثاني أن يغتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلعم الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد وقال أيضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم

الثالث أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه روى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعيه وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم مر على إنسان يدعو بأصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره إلى السماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم

الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى الأشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أي بدعائك وقد أثنى الله تعالى على نبيه حيث قال إذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية

الخامس أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلعم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك ورد في الخبر

واعلم أن المراد بالسجع المتكلف من الكلام [illegible] ذكر [illegible] [illegible] الأدعية المأثورة

ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلمون من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سياتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال اعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلايم الضراعة والذلة والا ففي الادعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله عليه السلام اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات وليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله السادس التضرع والخشوع والرهبة قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاؤه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسئل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني اسال الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسئلة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي عليه السلام ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله حاجة فابدوا بالصلاة علي فان الله اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي رحمه الله العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات فلم يسقوا فاوحى الله الى موسى اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة فاكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسل الله علينا السماء او لنوذينه قيل له وكيف تقدر ان تؤذيه وهو في السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له قال فارسل الله السماء وقال

سفيان

سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويبكون ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس قحط في بني اسرائيل فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة ويروى ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المراة بها فقال له عيسى فادع حتى اؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود النبي عليه السلام فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقانا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابكم اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا قال فسقوا وقال عطاء السليمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطاء هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكن منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول ◦ نم الزاهدون والعابدونا ◦ اذ لمولاهم اجاعوا البطونا ◦ اسهروا الاعين العليلة فيه فانقضى ليلهم وهم ساهرونا ◦ شغلتهم عبادة الله حتى ◦ قيل في الناس ان فيهم جنونا ◦ وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحديهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال ما لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا

وقصصت عليه القصة فصاح الفضل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس فلما فرغ عمر من دعائه
قال العباس اللهم انه لم ينزل من السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم و بلاغ
هذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير
ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال **فضيلة الصلاة على**
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله عليه السلام قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال انه جاءني جبريل عليه السلام
فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال
عليه السلام من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال ايضا ان اولى الناس بي
اكثرهم صلاة علي وقال بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي فقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة
علي يوم الجمعة وقال من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة
حلت له شفاعتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم يزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا
رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه و
ذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول
بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك
عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان
اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك
في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اهل النار يودوا ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي
انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى ابن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء
صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب
من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله
لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقال الذراع
لا تاكلني فاني مسموم بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو
دعوت

دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنيه
وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا
ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا
ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك
وقال بعضهم كنت اكتب الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا اسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال اما تتم الصلاة
علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
فقلت يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل
عن ذكره الغافلون فقال جزي عني انه لا يوقف للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل
ايتين ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من
اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى
اني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات
غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث اخر من قال
ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني
لساني النار فقال صلى الله عليه وسلم فاين انت عن الاستغفار في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
المت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم
اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي
اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير
وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني احد من اصحابه
استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن
الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وروى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى
تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم

قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عايشة رضي الله عنها انه صلعم
قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي
يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب
اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له
غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه
ولو كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك انا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك
من سوء ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت
انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت الا من تاب قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة
قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم
وقال قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
العجب ممن هلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال
الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع
بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي
وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض
الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم
ان استغفاري مع اصراري للوم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وابتغض اليك
بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله
الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله العزيز
اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اوف لك به و
استغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك
يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اذنبته في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه
استغفار الخضر عليه السلام

الباب الثالث

لادعية ماثورة ومعزوة الى اسبابها واربابها مما يدعو به المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلاة **فمنها** دعاء رسول الله صلعم
بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من
الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن

ونصلح

ونصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزلت بك حاجتي وان قصر رايي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك
يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي و
ضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فانا راغب اليك فيه واسالكه
يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من
خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا
بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود
انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف العز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح
الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا
في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا
عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا

دعاء عايشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ
بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين

دعاء فاطمة

رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله

دعاء الصديق

رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد
نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم
وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني اقنيته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي وضعته
على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على السماوات فاستقلت واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست واسالك باسمك
الذي استقل به عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي
وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي
وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين

دعاء بريدة الاسلمي

روي انه
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول
الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني
واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني يا ارحم الراحمين

دعاء قبيصة بن المخارق

اذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كثيرة كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل
ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلت ذلك امنت من كل غم وجذام وبرص
وفالج واما لاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام
اما انه اذا وافاهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء ❊

دعاء ابي الدرداء

رضي الله عنه قيل لابي الدرداء ذات يوم قد احترقت دارك وكانت قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك
ثلثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت وقال يا ابا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفيت فقال قد علمت فقيل له
ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شي وقد قلتهن
وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان
وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة
انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ❊

دعاء الخليل ابرهيم

عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق
جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة
فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه ❊

دعاء عيسى عليه السلام

كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير
افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني ❊

دعاء الخضر

عليه السلام قال الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله
لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلثا اذا اصبح
امن من الحرق والغرق والسرق ❊

دعاء معروف الكرخي

رحمه الله قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي الا اعلمك
عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للاخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما رددها علي
بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد
لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسائلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف
عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدرداء
انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه
من امر آخرته صادقا كان بها او كاذبا ❊

دعاء عتبة الغلام

رحمه الله رئي عتبة الغلام في المنام بعد موته
فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر
العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين رب العالمين ❊

دعاء آدم عليه السلام

قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف بالبيت
سبعا وهو يومئذ ليس ببني بل ربوة حمرا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم

حاجتي

حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا
ما كتبت علي ورضني بما قسمته لي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولن ياتي احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به
الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من كل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها

دعاء علي

كرم الله وجهه رواه عن النبي صلعم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب
العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله
الا انا العفو الغفور مبدي كل شي والي يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار
الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعالي المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى
القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك
انت الله لا اله الا انت كذي وكذي فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين
في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين ❊

دعاء ابي المعتمر

وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي ان يونس
ابن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان وهي



هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو
خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضيه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته
ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر
وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد آخره

دعاء ابرهيم بن ادهم

رحمة الله عليه روى ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا
اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد
الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا لربوبية الله خاضعا ولسوى
الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه
ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق والنار حق والحوض
حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك
احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك
من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت
اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى
انبيائه ورسله اجمعين آمين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظما بعده ابدا واحشرنا في

زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالماً سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير

الباب الرابع

في أدعية مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعها أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون لحا وراده الدعاء كما سيأتي في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك أعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وإلهام شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلباً سليماً وخلقاً مستقيماً ولساناً صادقاً وعملاً متقبلاً وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد عليه السلام في أعلى جنة الخلد اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغناء والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به إلى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرحاً وأسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل

أسألك م

جوارحنا

جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء لحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسول الأميين وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا واصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك أنت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين توفني مسلماً وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان إلى قوله إنك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

أنواع الاستعاذة المأثورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم إنا نسألك قلوباً أواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك ومنجيات أمرك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم إني أعوذ بك من التردي وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت لديغاً اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني وقلبي ومن شر منيي اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول اللهم إني أعوذ بك من القسوة والعيلة

والغفلة م

والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون
والجذام والبرص وسيء الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ
بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم
والماثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا يستجاب لها واعوذ بك من شر العمر وفتنة الصدر اللهم
اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس

في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء
والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل
في بصري نورا واجعل خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق
ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذني من النار وان
تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي
بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول واذا رأيت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رأيت
من ينشد ضالة في المسجد فقل لا ردها الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة من عندك
تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك
خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين
وان احببت قلت سبحان ربي العظيم ثلاث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده
ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك
الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا
الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد
ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسألك خير هذه
السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين
فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من
خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رأيت شيئا من الطير تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب
بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فقل الله اكبر ثلاثا وقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام

ربي وربك

ربي وربك الله ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر
فاذا هبت الريح فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا
بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في
الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ويقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند
الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب
اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل
في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فاذا سمعت صوت الرعد ورأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته قاله كعب فاذا امطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا
وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب واذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان
الرجيم واذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري
وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله
عدل خ تتم الصالحات وان ابطأت فقل الحمد لله على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات
دعاتك وحضور صلاتك اسألك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك
نافذ في قضاؤك اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك
ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء همي وذهاب حزني وغمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه
ارضنا بريقة وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بل ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق
برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة بعضنا يشفى
به سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته
من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السماوات والارض
ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين
واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك و
لو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السماوات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب
والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر
فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت
تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية باسمك اللهم وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي
اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك
آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقل قبل ذلك اللهم ايقظني

وقف

في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسالك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسالك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسيت قلت ذلك الا انك تقول امسينا وتقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت في المراة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت دينا فقل للمقضي له بارك الله لك في اهلك ومالك اذ قال رسول الله صلعم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والوضوء والصلاة فقد ذكرناه في كتاب الحج والصلاة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وان لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر او هو اقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال النبي صلعم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا ينصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند المام حاجة او ارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير وبقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض وغيره فسياتي في مواضعها ان شاء الله تعالى تم كتاب الاذكار والدعوات والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى اله وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوا وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها تزودا يحملهم في سفرهم الى اوطانهم ويكتنزوا منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الاخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح المهم بذكر بابين



الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار

الباب الثاني في كيفية احياء الليل

١٢٦ في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

١٣٣ وتفصيله وما يتعلق به

الباب الاول فضيلة الاوراد

وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقته الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يساعد على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان يترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة

اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان
يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله
واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم
ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم
ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال ومن اناء الليل فسبح واطراف
النهار لعلك ترضى وقال تعالى اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف
الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما وقال عز من قائل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون اي سبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله تبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات
وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة
لذكر الله وقد قال الله تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم
جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان
يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة يدلك عليه قوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في
الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان اعداد الاوراد وترتيبها

اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال
وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان
من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الفجر فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما
يتعلق به

الورد الاول ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله
تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل
فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار

وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر
الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات
وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته لا من قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الماء
ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك
على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا احاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب
وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر
الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد به الخبر ولا يشبك بين اصابعه
فيدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى
رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في منزله ويشتغل بالدعاء المذكور
بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم
يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فان لهما زيادة فضل روى انس بن مالك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى مسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة
حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة
مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفي الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة
السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن
اخي لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في
هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان
فقال الا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسمعته وهو منصرف يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم بعد ركعتي الفجر والدعاء ينبغي ان يشتغل بالاستغفار
والتسبيح الى ان تقام الصلاة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الباطنة والظاهرة في الصلاة و
القدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من
صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي انه كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة قعد في مصلاه
حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر
فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها

ذي سبحه وقراءة قران وتفكر. اما الادعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك
السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء
بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن
لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدئ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث.
والرابع من كتاب الدعوات فيدعو بجميعها ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله وارق لقلبه واخف على لسانه
واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها
ثلثا او سبعا واكثره مائة او سبعين واوسطه عشرا وليكرره بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط
الاقتصاد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها
فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء يتقاطر على الارض على التوالي
فيحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين
لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة
قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله
اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان
يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا على حاله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال
من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال واما القراءة فيستحب له قراءة جمل من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو ان يقرأ سورة
الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلثا من آخر سورة الحشر وان قرأ
المسبعات العشرة التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة
جملة الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز
اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم تسل ابرهيم
من اعطاه قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتحميد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم
ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال

وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها

انا الخضر

انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي قال هي ان تقرأ
قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الفاتحة وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل
يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات
وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم
عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم سبع
مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت
اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه رأى ذات يوم في
منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا
كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا
من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق
الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله من فعل هذا و
عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه
ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي
بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم
يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القران او اقتصر عليها فحسن فالقران
جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في كتاب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد
وظايفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيه ما ينفعه
في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوايق الشاغلة له عن
الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين و
الفن الثاني ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر
شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة
يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما استقصينا ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر
لله وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه
ولا ينكشف عظمة الله وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجايب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن
التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف
الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الحميدة
بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غايب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له

كجهة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان
التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جلية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال
بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا ما احاط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد
بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه
قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل
ما ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مرتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه
اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه في ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر رأى
كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية
لا يليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء
المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانها
خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر
فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما يعز فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر
ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه
الاربع ويقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد
وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يشتغلون
في هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به

الورد الثاني

ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار
اذا فرض النهار اثني عشر ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احدهما صلاة الضحى وقد ذكرنا في كتاب
الصلاة ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا
اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق
الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات
الاربع هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند
الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة
فهذا الوقت افضل لصلاة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس
بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق
يقع في مبدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان
فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان يرتفع عن بخار الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا

الوقت الخ

الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما
يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظايف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر
او الصلاة المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت
لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة
بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر

الورد الثالث

من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل
وكان بعد كل ثلث ساعات مر بصلاة فاذا انقضى بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلث اخرى فالظهر فاذا مضت
ثلث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم
يفترض لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير
المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله
ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لقوته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود للآخرة
فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتمتع بها ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلثة مواطن
مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان
يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون
فيه الامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر كان سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل
ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف
المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد
احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا
ان يناموا طلبا للسلامة فاذن نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد
للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة
والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد
عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا
وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف
احدهما الآخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الآخر

الورد الرابع

ما بين الزوال الى الفراغ
من صلاة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ
المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله تعالى
بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات بتسليمة واحدة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار
نقل انه يصليها بتسليمة واحدة لكن طعن في تلك الرواية هكذا قاله بعض العلماء ومذهب الشافعي رحمه الله انه يصلي مثنى مثنى كسائر

النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء كما اوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع وليقرا فيها سورة البقرة او سورة من المائين او اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر جماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة مثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرا في هذه النافلة آية الكرسي وآخر البقرة والآيات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او الصلاة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا فمن فضايل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه فاحياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومان بالنهار قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر في الليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء البدن وكما ان الذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا ان يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الآصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس** اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر وهذا احد معنيي الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤوس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ نهي عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلاثة **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس والشمس وضحيها والليل

اذا يغشى والمعوذتين وليغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب ينتهي اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر يغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة ينقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها

بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلاة فيه هي ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو آني من الآناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلاة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي ذلك عن الحسن البصري واسنده ابن ابي الزناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه الاعتكاف في المسجد وان عزم على الاعتكاف لانتظار العشاء الآخرة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء

الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرا فيهما من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وآخر الحشر وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلثة احاديث ما كان يقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر وليوتر

قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتاد الصلاة
الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عايشة رضي الله عنها
اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر ثلثة انحاء ان شيت
اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شيت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها
اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شيت اخرت الوتر ليكون اخر صلاتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به
واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلام قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه
تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف
الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون
لما فيهما من التنزيه وافراد العبادة لله فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في اخر صلاته وكانه صار بما مضى
شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو
كما ذكر لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ ولبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان
نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما
فتحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملايكة والروح جللت
السماوات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلاته
جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القايم وللنايم نصف اجر القاعد وهذا يدل على صحة النافلة نايما

الوظ الثان

النوم ولا باس بان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت ادابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا
حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى
العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيا واتفوق القران فيه تفوقا
قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك وادب النوم عشرة
الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت
روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف
حجب الغيب الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه استاك كذلك كان يفعله بعض
السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم تتيسر له الطهارة
فيستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في الاء الله وقدرته فذلك
يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى بنومه
وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند راسه فانه لا يامن القبض في النوم فان

ان من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض
هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر
بالمظالم الرابع ان ينام تايبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة

بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين
التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر لتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه
فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في اخر الليل فقد كان
نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر
وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال
تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني
اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك
عبادة الله السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه
واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن الثامن
الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى اخر الدعوات الماثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب
ان يقرا الايات المخصوصة مثل اية الكرسي واخر البقرة وغيرها وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله يعقلون يقال ان من
قراها عند النوم حفظ عليه القران فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف هذه الاية ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض واخر بني اسرايل
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الايتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرا المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه
وساير جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من اخرها وهذه الاي للاستيقاظ لقيام الليل
وكان علي كرم الله وجهه يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الايتين من اخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع
وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فسماها توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدات
لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين
الدنيا والاخرة وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك
تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عايشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السماوات
السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الى اخر الدعاء كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه

على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء
مع من احب ومع ما احب الخامس الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله
الا الله الواحد القهار رب السماوات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على
قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن
القلب واستحبت هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر واتمام
ما اوردناه من ادعية التيقظ **الورد الرابع** يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك
يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو
وسط النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم
الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل
وقال داود عليه السلام الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره
ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل
فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار
الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وادابه
وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا للقبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل
عشرا ويقول الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السماوات والارض ولك الحمد انت قيام السماوات والارض ومن فيهن ومن
عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك
توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم
آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها
لا يصرف سيئها الا انت اسألك مسألة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما
يا خير المسؤولين واكرم المعطين وقالت عائشة كان عليه السلام اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك
انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى
الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلعم بالليل
انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل ينقص بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة وسئلت
عائشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلام صلاة الليل
مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال عليه السلام صلاة المغرب اوترت صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلعم

في قيام

في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى قرب
من السدس الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل
يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه
ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له
نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق
حقه وذلك ان امرأة ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان
وهذا الورد الخامس وفيه يستحب التسحر وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد
الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها
ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت له ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة
واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل
تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة
مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له
اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في
ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من
كان عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا يكرهون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي
جسد الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق
صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك كله

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها
لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول**
العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان
تختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلاة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم
اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل
ما نقل في اورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فكان يختم الواحد منهم
في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها و
كان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم و
الليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ

فإن قلت فالاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن
ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف احوال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه
به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق
توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا
في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها
وقعا وقد روي عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال
من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل
قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد
الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان
فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا فليلازمه وما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه

الثاني العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة
للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها
ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتامل ما قال الله و
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم
يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا والعلم الذي
يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول
الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى
طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل
الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال
بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة
وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب
يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول مثل طلوع الشمس عمل اللسان وورده الثاني عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده
الثالث الى العصر عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وورده الرابع بعد العصر عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة
والكتبة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور
القلب في الجميع واما بالليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رحمه الله اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وثلثا
للصلاة وثلثا للنوم وهذا يتيسر في ليالي الشتاء فاما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار
فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد العالم

الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل

فحكمه

فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف
ويرتب اوقاته كما ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على
معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضور مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي
ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابي ذر ان حضور مجلس الذكر افضل من صلاة الف ركعة وشهود
الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر
وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه وانصرف الى
منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن
اشكو اليك قساوة قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر وراى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات
على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها
الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل من القلب من عقدة الركون الى الدنيا بقول واعظ حسن الكلام
زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا

الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله
فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي
ان لا ينسى الله في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا
ان يكون ناظورا فانه لا يعجز عن اقامة الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق
بما فضل عن حاجته فهو افضل من ساير الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه
النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله ثم يحصل به فايدة للغير وتنجذب اليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر

الخامس الوالي مثل الامام او القاضي او المتولي لنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص
افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر
يفعله اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية
امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة وفضل على ساير العبادات بتعدي
فايدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه

السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد
فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت درجته الى هذا لم يفتقر الى
تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم
قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم تصلح ان
يكون سببا لازديادهم فلا يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال الله تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم
قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم واليه الاشارة بقوله اني ذاهب

الحذق يشهدون وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظايم الاشغال وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان بضع وثلثون وثلثمايه طريقة من لقي الله بالشهادة على طريقة منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمايه وثلثة عشر خلقا بعدد الانبياء كل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يوثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسيلت عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلعم من عوده الله تعالى عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به روت ذلك عايشة رضي الله عنها وام سلمة فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهة فاعلم ان المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهة من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احيا ما بين العشائين

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عايشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وروت ام سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من صلى المغرب في جماعة ثم يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرا فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السماوات الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيئا اعمله في ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرا فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعله بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى فيها الانبياء وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلاة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال افطر وصل ما بينهما

فضيلة قيام الليل

اما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الآية وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطا وقوله تتجافى جنوبهم وقوله امن هو قانت آناء الليل الآية وقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وقال صلعم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وفي الخبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل كله حتى يصبح وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله

حتى تتفطر قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضاء ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة وقال عليه السلام لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت عدة فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر ما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروي أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبريل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ويروى أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن أبي طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما تقول وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء وقال عليه السلام من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلام أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل

الآثار يروى أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية في ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال إن سفيان الثوري شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال وقيل له ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك للين ووالله إن في

الجنة

الجنة ألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة فقالوا لا فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا إن هذا يحيي الليل كله فقال إني أستحيي أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار قام يردد هذه الآية ليلته حتى الصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها شعر

أألهتك اللذائذ والأماني ۞ عن البيض الأوانس في الجنان ۞ تعيش مخلدا لا موت فيها ۞ وتلهو في الجنان مع الحسان ۞ تنبه من منامك إن خيرا ۞ من النوم التهجد بالقرآن ۞

وقيل حج مسروق فما بات إلا ساجدا ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فإذا مضى ثلثا الليل ضرب وقال ليقم المصلون فإذا طلع الصبح ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ويقال إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه على الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى القيام وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة ويقال كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء ويروى عن الله تعالى أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فأما الظاهر فأربعة أمور الأول أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة

للنوم الثالث ألا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على النوم بالليل الرابع ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي
القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة فقال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال
ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم ما يقيلون وقال الثوري حرمت
قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن
وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يولمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا
حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير و
لذلك قال ابو سليمان الداراني رحمه الله لا تفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض
العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد ليأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاول
والذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام وتوثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه
الى الخير ما لا يوثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام
ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلاة وساير الخيرات وقال بعض السجانين بل نحو من ثلثين سنة اسال عن كل ما خوذ بالليل
انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر **واما الميسرات**
الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام
وان قام فلا يتفكر في صلاته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنايم الثاني خوف غالب
يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم
العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال
ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام اخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي
فما اقدر ان انام ولذي النون المصري في ذلك شعر . منع القران بوعده ووعيده . مقل العيون بليلها ان تهجعا . فهموا عن الملك الجليل كلامه
فرقابهم ذلت اليه تخضعا . وانشدوا يا طويل الرقاد والغفلات . كثرة النوم تورث الحسرات . ان في القبر ان نزلت اليه . لرقادا يطول
بعد الممات . ومهادا ممهدا لك فيه . بذنوب عملت او حسنات . امنت البيات من ملك الموت . وكم نال المنا بيات . الثالث
ان يعرف فضل القيام بالليل بسماع هذه الايات والاخبار والاثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة
في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزاته وكانت امراته تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح
فقالت قد جئتنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله اني كنت اتفكر في حورا من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة
والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو
مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة
فتحمله لذة المناجاة للحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب

لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل
بالنظر يتلذذ اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة
دون النظر ودون الطمع في امر اخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده
فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله فاعلم انه وان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد يبقى له
ايضا لذة في عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا
الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما
عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم
له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال
اخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين
افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل
بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ
من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة
لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة
المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله تعالى لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من
لقاء لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها
انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى
الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي
ي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي
لي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي
اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباكي وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما
يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارضون وما فيها
في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا
قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا
لما شاع له سر وتحقيق سياتي اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري
وشكى بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال الاستاذ يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب
المتيقظة وتخطي القلوب النايمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل
ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل

ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك في
كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة
المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل

اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب المرتبة
الاولى احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم
فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون
الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه
اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب
بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم
العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب ابن ابي ثابت ويحيى البكاء
البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن
المنكدر في جماعة يكثر عددهم المرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه
ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل المرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل
فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك و
يقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلعم
اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيوذنه للصلاة وقالت ايضا
ما الفيته السحر الاعلى الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب للمكاشفة
والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة يعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من
النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام المرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في
النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف المنازل للقمر ويوكل
به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب ذلك في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا
غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة
فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما
كان يقوم نصف الليل وثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل فقوله
تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله و
نصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى عن واحد انه قال راعيت صلاة

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك
لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم
استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة السادسة وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة
فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو
قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما راه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء
ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهي المرتبة
السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى
القدر فليس يجري امرهما في التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون
الرابعة

بيان الليالي والايام الفاضلة

اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي تتاكد فيها استحباب
الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم
لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان ستة هي اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب
ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير
هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه
وهي ليلة المعراج وفيها صلاة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثني عشر ركعة
يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القران يتشهد في كل ركعتين ويسلم في اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه واخرته ويصبح صائما فان الله
يستجيب دعاه كله الا ان يدعو في معصية واما الليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص
عشر مرات كانوا لا يتركون ذلك كما اوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم
يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة
وعشرين من رجب له شرف عظيم روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له الله صح
صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان
وفيه كانت وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة
والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت
الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مناه في الاخرة
واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله
عز وجل وذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى اعادته والله اعلم واحكم

اخر كتاب ترتيب الاوراد والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي واله الاكرمين المكرمين

وقد تم ربع العبادات ويتلوه بعده ربع العادات
والحمد لله حق حمده وهو أيضا مشتمل على عشرة كتب

وهذا ربع الثاني من كتاب إحياء علوم الدين وهو ربع العادات صنف
الشيخ الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي نور
الله ضريحه وبرد مضجعه بفضله وكرمه إنه العطوف الشفوق لعباده وهو الرحيم الكريم

كتاب آداب الأكل والشرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات فخلق الأرض والسماوات وأنزل الماء الفرات من المعصرات فأنشأ الحب والنبات
وقدر الأرزاق والأقوات وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات
والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات
وسلم كثيرا أما بعد فإن مقصد ذوي الألباب لقاء الله سبحانه وتعالى في دار الثواب ولا طريق إلى الوصول إلى اللقاء
إلا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا يصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات والتناول منها
قدر الحاجة على تكرر الأوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين وعليه نبه رب العالمين
بقوله وهو أصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويتقوى به

على التقوى

على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى فإنما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة
إليه ينبغي أن يظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن
بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ للنفس قال
صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه
ووظائفه وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها — هام

الباب الأول فيما لا بد للمنفرد منه وهي ثلاثة أقسام

قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول

في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة الأول أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه
موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سيأتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال و
الحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيما لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال
فقال تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني
غسل اليدين قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولأن اليد
لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم
عليه ما يجري مجرى الطهارة من الصلاة الثالث أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رفعه على المائدة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام وضعه على الأرض فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعلى السفرة
فإنه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان
ولا في سكرجة قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفر وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل و
الأشنان والشبع واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم إذ
لم يثبت فيه نهي وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة
ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن
الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه — لتيسير خ
من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا
يتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغات في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا وكان مناديلهم أخمص أقدامهم — في خ
وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا فأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التنعم المفرط وأما المائدة
فتيسير للأكل وهو أيضا مباح وأما الشبع فهو أشد هذه الأربع فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك
التفرقة بين هذه المبتدعات الرابع أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — كذلك

ربما جثى للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انما
انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل نايما ومتكئا
الا ما يتنقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه فالعرب قد تفعله
الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالاكل فلا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابرهيم
بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق
نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة
على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب
وثلث النفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد يده الى الطعام الا وهو جايع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل
الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسياتي فايدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات
السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا
ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز
الصلاة ان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدوا بالعشاء وكان ابن عمر رضي
ربما سمع قراة الامام وهو لا يقوم من عشايه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلاة
فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلاة وكان في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس
او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام
ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه السلام لا ياكل وحده

القسم الثاني

في آداب حالة الاكل وهو ان يبدا ببسم الله في اوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله
فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم
ويجهر به ليذكر غيره وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى
فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان ياكل
مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا
واحدا وان لا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا
يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهي عنه وقال انهشوا نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيره الا ما يوكل به قال صلى الله عليه وسلم
اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها وليمط ما
كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام
الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من التمر وترا سبعا او احدى عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع
بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا ماله عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام

ذا طرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او
صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب فانه دباغ المعدة واما الشرب فادبه ان ياخذ الكوز بيمينه و
يقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب
قايما ومضطجعا فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قايما وروي انه عليه السلام شرب قايما ولعله كان لعذر ويراعي اسفل
الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في قبل الشرب ولا يتجشا في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد
الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا وكل ما يدار على قوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر رضي اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلثة
انفاس يحمد الله تعالى في اواخرها ويسمي الله تعالى في اوايلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي
الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دل عليها الآثار والاخبار

القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحه بالمنديل ثم يغسله ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من
اكل ما يسقط من المايدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجمع من اصول الاسنان
بلسانه اما المخرج بالخلال يرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة يقال من لعق القصعة و
شرب ماءها كان له عتق رقبة فان التقاط الفتات مهر الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام
نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله لنا قوة على
معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم من المايدة حتى ترفع اولا فان اكل طعام الغير فليدع
وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم
فليقل افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من
شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله عليه السلام كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من ياكل
ويبكي كمن ياكل ويلهو وليقل اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وان اكل غيره اللهم بارك لنا فيما رز
قتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله
الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وامنت من خوف فلك
الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دايما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله
ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك واما
غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه
على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يتم غسل الفم باصبعيه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل
اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة



الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة

الاول ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى فحينئذ لا ينبغي ان يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استأذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلث وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنه الطعام اهون من ان يحلف عليه الرابع ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى تفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤنة القول ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن يتعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحياء وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا يتبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله الخامس ان غسل اليد في الطست لا باس به وله ان يتنخم فيه اذا اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية اتدري من صب على يدك فقال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا يرفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحدة ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما

وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست اذا ستة آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يديه برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يرعك ما رايت مني فان خدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم آخرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع لسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره ولا ينفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها باسنانه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر بالمستقذرات

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين

تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن رضي الله عنه كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لنأكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا كان وحده وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال عليه السلام خيركم من اطعم الطعام وقال من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين

مسيرة خمسمائة عام وأما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوماً متربصاً لوقت طعامهم فيدخل وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على الطعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولون له عن محبة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولون حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت أكله فلا بأس به فقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما (به م) منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً والدخول على مثل هذا الحال إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهو عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة وآخر ثلثون يدور في الشهر وآخر سبعة وكان إخوانهم معلومهم وبدلاً عن كسبهم وكان قيامه لهم على قصد التبرك عبادة لهم فإذا دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذا أكل من طعامه (ان خ) فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضاء لا سيما في الأطعمة وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى أو صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء بعلمه بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستيذان أولاً ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله أو صديقكم فقال فمن الصديق يا أبا سعيد فقال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وجاء قوم إلى منزل سفيان الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد هذه آداب الدخول فأما آداب التقديم فترك التكلف أولاً وتقديم ما حضر فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشق على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي من أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلنا فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع

[illegible]

التكلف

التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم روي أن رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئاً ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيئاً فلا يترك نوعاً إلا ويحضر منه شيئاً وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم قال بعضهم إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر قال سلمان رضي الله عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا وفي حديث يونس عليه السلام أنه (النبي ص) زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً وجز لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال كلوا لولا أن الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه

الأدب الثاني وهو للزائر أن لا يقترح (خ) ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما عليه كذلك السنة في الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكل قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر ذلك عليه فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلاً عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فأخذ الشافعي (رضي) الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال ما أمرت بهذا فعرضت خط الشافعي ملحقاً بالرقعة فلما وقع عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه قال أبو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت فأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له إيش هو ذي تعمل أنا أشربه كله في مرة فضحك وقال أفضل لك (هذا م) من حجة وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانبساط ومع أبناء الدنيا بالأدب

الأدب الثالث أن يشتهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحي عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد

الأدب الرابع أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يقدم إن كان قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل أتأكل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهره عليهم أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة وإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب

الباب الرابع في آداب الضيافة

وجمل الآداب فيها ستة الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولنقدم

على شرحها فضيلة الضيافة قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله تعالى وقال عليه السلام
لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام
انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به
ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفته الا برهن فاخبرته
فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي فارهنه عنده وكان ابرهيم الخليل صلعم
اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته
في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا وياكل عنده جماعة من بين ثلثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل
الى الان ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم
في الكفارات والدرجات اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار
الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها **اما الدعوة** فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته
الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل طعامكم الابرار في دعائه لمن دعا له وقال عليه السلام لا تاكل الا طعام تقي ولا
ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون
الفقراء وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في اصدقائه ومعارفه فان
في تخصيص البعض ايحاش لقلوب الباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى
بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا من تحب اجابته قال سفيان من دعا الى الطعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة
فان اجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهته ولو علم ما كان باكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة و
اطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان
الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم **واما الاجابة** فهي سنة موكدة
وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة
آداب **الاول** ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل
الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء
دون الفقراء وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي بقوم من المساكين الذين
يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون وكان على بغلته فسلم عليهم
فقالوا له هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم
عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل
معهم واما قول القائل اذا وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل

اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا له عند المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحضر لعلمه بان الداعي يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة وهذا يختلف باختلاف الحال
فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك
قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك
الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي يا لها من لقمة ليس فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة
فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما
فعلمت انه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني **الثاني**
انه لا ينبغي ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في
العادة لا ينبغي ان يمتنع يقال في التورية او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب
دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله تعالى وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحي فهو اولى من الميت
قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره **الثالث** ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره
فليفطر وليحتسب بافطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب بالصوم وافضل وذلك في صوم التطوع وان
لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم
تكلف لك اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس رضي من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن
خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القراين
الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع
منكر من فرش ديباج او انية فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شيء من المزامير والملاهي او التشاغل بنوع
من اللهو والهزو واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة والاستحباب ويوجب تحريمه او كراهيته وكذا اذا كان الداعي ظالما
او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طلبا للمباهاة والفخر **الخامس** ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن
فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر من معصية الله تعالى لقوله عليه السلام من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله
اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله تعالى وينوي ادخال السرور على
قلبه امتثالا لقوله عليه السلام من سر مؤمنا فقد سر الله تعالى وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط
رسول الله صلى الله عليه وسلم التزاور والتباذل لله تعالى فقد حصل البذل من الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة
نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم
او ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب

ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته
الى ما هاجر اليه وانما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب والنية م
الخمر وحرام اخر لم ينفع بالنية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو الطاعة المباهاة وطلب المال تؤثر النية
انصرف من جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية
في هذين القسمين لا في قسم الثالث واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا
يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجيهم بالهجوم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان
اشار اليه صاحب المكان بموضع لم يخالفه البتة فانه يكون قد رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته يشوش عليه
وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله تعالى الرضا بالدون
من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل
الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة
وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رحمهما الله وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل
قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل اولى صح
لينتظر ان يدخل من ياكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج
واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه
وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد رحمه الله اذا رأى مكحلة راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم يأذن في الجلوس الا في ضبة
وقال اذا رأى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه لا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج
اذا رأى حيطان البيت مستورا بالديباج كما يستر الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى
صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج فكل ما ذكره صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج
فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ التحريم محرم على الرجال قال عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا
الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله لا سيما في وقت
الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج
مهما لبسه الجواري والنساء فالحيطان في معنى النساء اذ ليس موصوفا بالذكورية واما احضار الطعام فله اداب خمسة
الاول تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم
ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق
اولئك في التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا باس بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ

وقوله

وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله
ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف وتجهيز
الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة فقيل الوليمة في اول يوم سنة
وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في
الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القران تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة
ثم قال م مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى
في ضيف ابراهيم عليه السلام اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي اجيد نضجه وهو احد معنيي الاكرام اعني
تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى
لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات وقال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا
عن الله تعالى وتتميم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المأمون شرب الماء بثلج
يخلص الشكر لله تعالى وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك واطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت
الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا او
خلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة
لونين ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة وفي
الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها
خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على رغيف زيتون وحب الرمان فهذا اذا جمع حسن الموافقة **الثالث** ان
نف يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منه من يريد ولا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف
حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين
ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده
الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه وحكي عن بعض ارباب المروات انه كان يكتب نسخة بما
يستحضر من الالوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق
انما يقدم هذا اخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال اخر كنا جماعة في ضيافة فقدم
ها الينا الوان من الرؤوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجاء بالطست ولم يقدم غيره
فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال وبتنا
تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده **الرابع** ان لا يبادر الى رفع الالوان

وقف

بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل منهم قد يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استحضره او بقي فيه حاجة
الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التي يقال انه خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال
ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن الثوري وكان صوفيا من احاديث عنده ولحد من ابناء الدنيا على مائدة وقدم
اليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما راى القوم مزقوا الحمل كل ممزق وضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى
الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام الثوري يعدو خلف الحمل فقيل له الى اين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل فامر
برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون آخرهم اكلا كان بعض الكرام
يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثى على ركبتيه ومد يده الى الطعام واكل وقال
بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه **الخامس** ان يقدم من الطعام قدر
الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان
يأكلوا الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع وينوي ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه
لا يحاسب عليه احضر ابرهيم بن ادهم رح طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان رح يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال
ابرهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه
وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت
حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فيضيق صدورهم وينطلق في الضيفان السنتهم ويكون
قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهن وما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي تسميه
الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به وان كان
يظن كراهيته فلا ينبغي ان يؤخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان يأخذ الواحد
الا ما يخصه او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما الانصراف فله آداب ثلثة **الاول** ان يخرج مع الضيف الى
باب الدار وهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه وقال عليه السلام ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو قتادة قدم النجاشي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين و
انا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة وقيل للاوزاعي
ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا
واطعمنا طعاما حسنا **الثاني** ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع
قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع
حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت

فقال لم

لم يبق قال فاتقدوا اسمها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو
معنى التواضع وحسن الخلق وحكي ان الاستاذ ابا القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو يرجع
في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الاب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى فاطمأنت بالتوحيد وصارت
تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه فلا تنكسر بما يجري من العباد من اذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من اكرام
بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انا لا اجيب الدعوة الا لاني اتذكر بها طعام الجنة اي هو طعام طيب
يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه **الثالث** ان لا يخرج الا برضاء صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا
نزل ضيفا فلا يزيد على ثلثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلثة فما زاد صدقة نعم لو الح
رب البيت عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش
للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان

فصل يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة

الاول حكي عن ابرهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسند هذا الى رسول الله صلعم واسناده غريب وقد نقل عن
ضده عن ابن عمر رض انه قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورئي بعض مشايخ الصو
المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق فآكل في البيت فقيل تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل
بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه
ويختلف ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في
الشهادة ومن يليق ذلك بجميع اعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني** قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه
بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل يوما سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى
وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبسفارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم
البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد
وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين
الثالث قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا
فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل طعاما الا اجدت
مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار
فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد كما قال تعالى
ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط وقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه **الرابع** في الخبر قطع العروق
مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك
حتى تأخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل للشهوة لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك
قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان **الخامس** الحمية

تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة
ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمدة فقال أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أمضغ بالشق
الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** يستحب أن يحمل الطعام إلى أهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن أبي
طالب قال عليه السلام إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل
منه إلا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم **السابع** لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم فإن للبكاء
أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد
الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا المزكي على الأكل فقال إما أن آكل وأخلع التزكية أو أزكي ولا آكل فلم يجدوا
بدا من تزكيته فتركوه وحكي أن ذا النون المصري حبس فلم يأكل في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه من مغزلها طعاما أياما
على يد السجان فامتنع ولم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجان وهذا
غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي أنه دخل على بشر الحافي زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه إلى أحمد الجلاء خادمه فقال اشتر به طعاما
جيدا وأدما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت
اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال بشر أتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لأن الطعام الطيب يستخرج
خالص الشكر أتدرون لم لم يقل لي كل لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أتدرون لم حمل ما بقي لأنه إذا صح التوكل لم
يضر الحمل وحكى أبو علي الروذباري عن رجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل قد أسرفت فقال ادخل فكل ما أوقدته
لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع واشترى أبو علي الروذباري أحمالا من السكر وأمر الحلاويين حتى
بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع**
قال الشافعي رحمه الله الأكل على أربعة أنحاء الأكل بأصبع من المقت وبأصبعين من الكبر وبثلاث أصابع من السنة وبأربع وخمس من
الشره وأربع يقوين البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربع يوهن البدن كثرة
الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة وأربع يقوين البصر الجلوس حيال القبلة والكحل
عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف المجلس وأربع يوهن البصر النظر إلى القذر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة
والقعود في استدبار القبلة وأربع يزدن في الجماع أكل العصافير وأكل الأطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير
والنوم على أربعة أنحاء نوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السماوات والأرض ونوم على اليمين وهو
نوم العباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليستهضموا طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين وأربع يزدن في العقل العلماء
ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء وأربع هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود
ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد الخروج كيف لا يموت و
عجبت لمن احتجم ثم بادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب
آخر آداب الأكل ويتلوه كتاب آداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين

كتاب آداب النكاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعه إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه
على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق
شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقتهارا وقسرا ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح
وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرا وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسبحان
من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في أراضي الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر
الموت جبرا تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة على محمد المبعوث
بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا وحصرا وسلم كثيرا أما بعد فإن النكاح معين على الدين
ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما أحراه بأن
تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه ونشرح مقاصده وآرابه ونفصل فصوله وأبوابه والقدر المهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب

الباب الأول

في الترغيب في النكاح والترغيب عنه اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي
لعبادة الله تعالى واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال
ويدعو إلى الوقاع وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق
النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أولا ما ورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح
وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله أو لم يسلم **الترغيب في النكاح**
أما من الآيات قال الله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم وهذا أمر وقال تعالى فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن وهذا منع من العضل
ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فذكر ذلك في معرض
الامتنان وإظهار الفضل ومدح أولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين وقالوا إن يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع وقيل
إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لغض البصر وأما عيسى فإنه سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له وأما الأخبار
فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي وقال أيضا عليه السلام تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم
الأمم يوم القيامة ولو بالسقط وقال أيضا من رغب عن سنتي فليس مني ومن سنتي النكاح ومن أحبني فليستن بسنتي وقال
صلى الله عليه وسلم من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم من
كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن

الأيامى من لا زوج لهم من الرجال والنساء بكرا أو ثيبا

المباهات المفاخرات

فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج احدهما وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلث ولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح واما الاثار فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكي لا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم اعاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني الى الله مني ولئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال اولم وجمعوا له من الصحابة شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح ويحكى ان بعض العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك للتزويج فقال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال انا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل علي احمد بن حنبل بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزويج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي انه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على

مقام

مقام الانبياء ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية انه قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه فقال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء عليهم السلام وقال رجل لابراهيم بن ادهم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي حاجة في امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من المتاهل افضل من سبعين ركعة من عزب



واما ما جاء في الترغيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وفي الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرتها احد الفقرين وسئل ابو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال وقال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف عنه الغطاء بحصر آفات النكاح وفوائده

آفات النكاح وفوائده

وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن

الفائدة الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احد ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله **اما الوجه** الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه بها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها في الانثيين عروقا ومجاري

وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والالات تشهد بلسان ذلق
في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لو لم يصرح به الخالق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل
لما خلق من الالة المعدة وجاني على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس
برقم حروف واصوات يقراه كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقايق الحكمة الازلية ولذلك عظم الامر في القتل للاولاد وفي
الواد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوادين فالناكح ساعي في اتمام ما احب الله سبحانه تمامه والمعرض معطل ومضيع لما
كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فان قلت قولك ان بقاء النفس والنسل محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله سبحانه وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة
الى ارادة الله ومعلوم ان الكل بمشية الله وان الله غني عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنايهم فاعلم
ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكاينات كلها الى ارادة الله سبحانه خيرها وشرها نفعها
وضرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة
وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضي ومحبوب
بل هو مراد وقد قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء وانه تعالى
يقول ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم وهو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله لا بد
من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله تعالى هو الذي خلق الموت
والحيوة ولا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى
الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات
فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذواتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب
ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا يناسب صفة الخلق وهذه الحقايق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر
الذي منع من افشايه فلنقصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع
نسلا ادام الله وجوده من ادم عليه السلام عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من وجود
ادم عليه السلام على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني
لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع
ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل
حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة
خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى
على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الان وقد كان المراد منه اولا

الجلادة للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين مضوا من الجلادة سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر
على الحرث وانما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المراة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى
هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثاني** السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه
في تكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضي الله عنه
انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المراة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير من امراة
لا تلد وقال خير نسايكم الولود الودود وقال عليه السلام سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء
فضل النكاح من طلب دفع غايلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان
يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن ادم ينقطع الا ثلث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق
من نور وقول القايل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يوثر فانه مومن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم
على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المومن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من
كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء
اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الان اخذ بثوبك وقال
ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطيا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال
ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر اخر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملايكة اذهبوا بهولا
الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون اين اباونا وامهاتنا فتقول
الخزنة ان اباءكم وامهاتكم ليسوا امثالكم انه كانت لهم ذنوب وسيات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال
فيتصايحون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا
لا ندخل الجنة الا مع ابائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي ابايهم فادخلوهم الجنة قال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من
الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول
الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فياباه برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال
زوجوني زوجوني فزوجوه فسيل عن ذلك فقال لعل الله تعالى يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الاخرة ثم قال رايت في المنام
كان القيامة قد قامت وكاني في جملة الخلايق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلايق في شدة العطش
والكرب فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون
الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال
ليس لك فينا ولد انما نسقي اباءنا فقلت ومن انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فاتوا حرثكم
انى شيتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الاخرة فقد ظهر بهذا الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا
للولد

الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوايل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه
الاشارة بقوله عليه السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم
يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان
الشهوة موكل متقاض لتحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله ودافع لجنده وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة
في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود
اللذة والولد لازم منها كما يلزم قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة
باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا يوازيها لذة لو دامت
فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع او الصبي
في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوايد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة
الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حيوة ظاهرة وحيوة باطنة
فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه نوع دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة
بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة الموصلة اليه ويستفيد العبد بشدة الرغبة
فيها تيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا او باطنا بل من ذرات ملكوت السموات
والارضين الا وتحتها من لطايف الحكم وعجايبها ما تحار العقول فيها ولكن تنكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها
عن زهرة الدنيا وغرورها واغوائها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين وكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب
الخلق فان الشهوة ان غلبت ولم تقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله عليه السلام الا تفعلوه تكن
فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج
فاما حفظ القلب عن الوساوس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر
عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما
لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله تعالى كاللسان في حق الخلق وراس
الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا يقطع مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه
ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل
من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا خلق الانسان
ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي
نوادر التفسير عن ابن العباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل
ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحيوتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم واليه اشار عليه السلام
بقوله ما رايت ناقصات عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه

اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يخلو من اثنين وثلث فانكر عليه بعض الصوفية فقال
هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله تعالى جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا
من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي
الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال
له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون
قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى
الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع مع اهله لان ذلك يدفع ذلك الوسواس عن النفس وروى جابر ان
النبي عليه السلام راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى
احدكم امراة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذي معها وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب زوجها
فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة يعني
فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى ان ابن عمر رضي الله عنه كان من زهاد الصحابة وعلمائهم كان يفطر من الصوم
على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله تعالى واخراج عدة الشيطان
منه وروى انه جامع ثلثة من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس رضي الله عنه خير هذه الامة اكثرها
نساء ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح
الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون
من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية التي تستحقر
الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروى انه انصرف الناس يوما من مجلس ابن العباس رضي الله عنه وبقي شاب لم يبرح فقال
ابن عباس هل من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسالة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم
بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض الي به فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت
بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على
ان العزب مردد بين ثلثة شرور ادناها نكاح الامة وفيها ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم
يطلق ابن عباس الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة
حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة
من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا لا يعم
الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته بكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من امر الولد

فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما يغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنها المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها
الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمان قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه
بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ويقال ان الحسن بن علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مايتي امراة وكان ربما عقد على الاربع
في وقت واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه السلام للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال حسن مني و
حسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين
امراة وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي
ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة **الفايدة الثالثة**
ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة لراحة القلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي
عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات
في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون
لنفوس المتقين استراحات الى المباحات ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت
عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه
ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ اخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة
لمعاش او لذة في غير محرم وقال عليه السلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى
والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدرداء يقول
اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لا تقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت
الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة
لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم اكثر هذا الانس وقال عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلاة فهذا ايضا فايدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف
الاعمال وهي خارجة عن الفايدتين السابقتين حتى انها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفايدة تجعل النكاح
فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك واما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم
رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن
فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفايدة الرابعة** تفريغ القلب عن تدبير المنزل
والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة
الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم
والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات
للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمان الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة

وانما تفرغ

وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قول الله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة
الصالحة وقال عليه السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مومنة تعينه على اخرته فانظر كيف جمع بينها
وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب يقول ما اعطي عبد
بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غل لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء
وقال عليه السلام فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه
كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوايد التي يقصدها الصالحون الا
انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به امور المنزل
ويدخل في هذه الفايدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشاير فان ذلك مما يحتاج اليه في
دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل
مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل **الفايدة الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية
والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين و
الاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل
والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال عليه السلام يوم
من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسوول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح
نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ومن صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة
الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلث احدها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه السلام ما انفق
الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل اعطاني الله نصيبا
حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن
المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم قالوا فما هو قال رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر
الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال عليه السلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل
ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث اخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث اذا كثرت
ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال عليه السلام من كان له ثلث بنات فانفق
عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر الله له كان ابن عباس اذا حدث
بهذا الحديث قال هو والله من غرايب الحديث وغرره وروي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت
فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي قال فرايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت
وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشوم

فيقول الخامس ويقول الثالثة كذلك فيقول الرابعة نعم نخوف ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما
فقلت له يا هذا من المشؤم الذي اليه تومئون فقال انت فقلت ولم ذلك فقال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله
فمذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن يفارقه زوجتان او
ثلاث وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امرأته
فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله تعالى وقلت ما انت معاقب لي في الآخرة فعجله في
الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس و
كسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبائث باطنه ولا ينكشف بواطن
عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه
وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة وتكفل لهم وقيام بهم وعبادة
في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق
لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة والرياضة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير
بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلاة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام
بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل
الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج
لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم
واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة والله اعلم

اما آفات النكاح فثلث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل
احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه
وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء ويتبع هوى زوجته ويبيع آخرته
بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله
من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا تبقى له حسنة فينادي الملائكة هذا الذي
اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفونه بين
يدي الله ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال
بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه السلام لا يلقى الله احد
بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال يفي به وباهله
وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من
المباحات باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا يتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة

وغالب ماله الحلال ولذلك قال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار
يرى الاتان فلا ينتهي عنه بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى **الآفة الثانية** القصور عن القيام
بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهي دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على
الاول وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسؤل عن
رعيته وقال عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا يقبل له
صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت
الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال
انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لن يسع الفارة جحرها علقت المكنسة من دبرها ولذلك اعتذر ابرهيم ابن
ادهم وقال لا اغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه وكذلك اعتذر
بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير جلادا
على الجسر ورئي سفيان على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفيان يقول
يا حبذا العزوبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه آفة عامة ايضا فان كانت دون عموم الاولى لا يسلم
منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء
بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق
وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له

الآفة الثالثة وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا عن الله تعالى وجاذبا الى طلب
الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل
عن الله من اهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة
الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن
ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس يستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في
الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابرهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمان من تزوج
فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل
له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا
ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في
الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل و
التحصن بالعشيرة فلا يمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوائد و

الآفات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامر وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام او الاشتغال عن الله فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حيوة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه حيوة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس المال وفي فساد الدين بطلان الحيوة الاخروية وذهاب رأس المال فلا يقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او يأكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كانت تثق نفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب اولى بترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان يوزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن امن الآفات فما الافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواع من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله تعالى فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر عليه ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل فرسولنا عليه السلام اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسعة من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمومهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسولنا صلى الله عليه وسلم لعلو درجته

لا تمنعه زوجته امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان تغير السواقي ما لا تغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طلب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء على الافضل في كل حال

الباب الثاني

فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد **اما العقد** فاركانه وشروطه لينعقد اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضاء المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة مستوري الحال حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن آدابه ان يلقي امر الزوج الى سمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم بينهما ومن الآداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومنها ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما للحل والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها للحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة للغير الثاني ان تكون معتدة الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء عن وطء عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنسب الى نبي وكتاب ومنهن معتقدات مذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة او غير خائف من العنت الثامن ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين التاسع ان تكون قريبة الزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل و

باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده
اصل العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول
كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرم بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او من ح
جدتها من قبل او وطيهن بالشبهة في عقد او وطي امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المراة يحرم امهاتها
ولا يحرم فروعها الا بالوطء الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في النكاح او في عدة الرجعة نفس ح
فان كانت في عدة البينونة لم تمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا
بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا
الناكح قد طلقها من قبل ثلثا فهي لا تحل له ما لم يطاها زوج اخر في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها
تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل
السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ
التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا
فهذه هي الموانع المحرمة **واما الخصال** المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد ويتوفر المحرمة ح
مقاصده فثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة **الاولى** ان
تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت
بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك فيه سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ونقص
ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها
اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال امسكها وانما امره بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو
ايضا معها فراى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه
اخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا وان انكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك
بذات الدين وفي حديث اخر من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها
وقال ايضا لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث
على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له
الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية
اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر اكثر منها من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء
قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة انانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة فاما الانانة

فهي التي

فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او نكاح المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي
تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج اخر او ولدها من زوج اخر وهذا ايضا
مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين احدهما
وتزيينها ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينها ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا
تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا
غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين
ويحكى ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة
والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية بغيرها
المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهو الذي قال تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة
التي تعلوا على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض وكان علي يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء
البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم
كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها
الخلق فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل
التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين و
ان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان
الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالف والمودة تحصل به
غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة
فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة
وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال عليه السلام ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر
اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرايمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال
الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح
وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه
شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما
فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عايلين فاغنانا الله
وان رددتونا ح فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا
وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا
فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف

وفصل

في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مايلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الي الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد والخداع والاغراء اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشي علي نفسه التشوق الي غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الي الزهد اقرب لانه علي الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين علي الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شي حتي في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدهم ان يتزوج يتيمة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها يكون خفيفة المونة ترضا باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء علي اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها فهذا داب من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن علي دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي علي صورة الحور العين فان الله وصف نساء الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه يتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين وشديدة سواد في سواد الشعر والعيناء واسعة العين وقال عليه السلام خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما تسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج **الرابعة** ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا فقد نهي عن المغالات في المهر تزوج رسول الله صلعم بعض نسائه علي عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحا يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم علي بعض نسائه بمدين من شعير وعلي اخري بمدين من تمر ومدين من سويق وكان عمر ينهي عن المغالات ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعماية درهم ولو كانت المغالات بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله عليه السلام وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله علي نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة علي درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج علي عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال ايضا ابركهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالات في المهر من جهة المراة فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شي للمراة فاعلم انه لص واذا اهدي اليها شيا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الي المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه بنية طلب الزيادة منه نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فتدخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فان الربوا هو الزيادة وهذا طلب زيادة علي الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح **الخامسة** ان تكون

المرأة

المراة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع من تزويجها قال عليه السلام عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج ولم تعرف حالها فتراعي صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين **السادسة** ان تكون بكرا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر في معني الود وقال عليكم بالودود والطباع مجبولة علي الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضي بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج **الثانية** ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل علي الطبع مهما تذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا **الثالثة** انها لا تحن الي الزوج الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مودبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه السلام اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال عليه السلام تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوي الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا ينبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب علي الولي ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها قال النبي عليه السلام النكاح رق فلينظر احد اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر علي الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جني علي دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار قال رجل للحسن رضي الله عنه قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه السلام من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في اداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما علي الزوج وفيما علي الزوجة

اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز والوقاع والمفارقة بالطلاق **الادب الاول** الوليمة وهي مستحبة قال انس راي رسول الله صلى الله عليه وسلم علي عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة علي وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي صفية بسويق وتمر وقال عليه السلام طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل علي الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير وروي ابو هريرة انه عليه السلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس علي فراشي وجويرات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من ابائي الي ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها **والادب الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذي منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف

وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المراة وآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثا كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم
ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في ايديكم يعني اسراء اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال
عليه السلام من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل مثل صح
ثواب آسية امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر في الكلام
فقال اتراجعيني يا لكعا فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان
ان راجعته ثم جاء الى حفصة فقال لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة ودفعت احداهن
في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عايشة رضي الله عنها
كلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا
فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فمها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال
له النبي عليه السلام لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت
قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع في الاسلام حب النبي عليه السلام
عايشة وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذوني في عايشة فانه والله
ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان

الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في
بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت اصوات
اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل
اليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا
انظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه السلام خياركم خيركم لنسائه
وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال
لقمان عليه السلام ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض
الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ
القلب على اهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت لقد والله كان

ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد **الرابع** ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع
هواها الى حد يفسد خلقها وتسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا
تنكر وانقبض خ يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته
فيما تهوى الا اكبه الله في النار وقال عمر خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس
عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية
واطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين في قوله
الرجال قوامون على النساء وسمى الزوج سيدا وقال تعالى والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله
شبرا خ كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت
يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رحمه الله ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي
اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج
كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان
سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات
والارضين وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع
ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك
منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال عليه السلام مثل المراة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب
يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النساء فانهن لا
يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال عليه السلام استعيذوا من الفواقر الثلث وعد منهن امراة سوء فانها المشيبة قبل
الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقد قال عليه السلام في خيرات النساء انكن صويحبات
يوسف يعني ان صرفكن ابا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى وقال الله تعالى حين افشين سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خيري ازواجه وقال عليه السلام لا يفلح قوم
تملكهم امراة وزبر عمر امراته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما
انت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق
هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها
عن خ **الخامس** الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل في مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن
والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء
ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل
واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا في تهذيب

اخلاقها وقال عليه السلام غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة وهذا من ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه
فان بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد منها
وهي محمودة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه وقال عليه السلام
اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ولاجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر
من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في الجنة قصرا وفيها جارية فقلت لمن فقيل لعمر فاردت
ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن رضي الله عنه يقول اتدعون نساءكم
يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلام ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغض الله ومن الخيلاء
ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة



والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في
الباطل وقال عليه السلام اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال
وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شيء خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا
ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع النسوان الى الرجال وراى معاذ امراته تطلع في الكوة فضربها و
راى امراته دفعت غلاما له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر رضي الله عنه اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال
ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال ايضا عودوا نساءكم لا وكان قد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
للنساء في حضور المساجد والصواب الان المنع الا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم
ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده
بلى لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه
بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان ايضا مباح للمراة العفيفة برضا زوجها
ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما يفضي الى
الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه
الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن
منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعوا من الخروج الا لضرورة **السادس** الاعتدال في
النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله
ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وقيل كان

لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخصبا
وفي الاثاث والثياب تقارب وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان
لم يكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك
فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله
بماكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فلياكله
في خفية بحيث لا يعرفه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال على مائدته
فقد قال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه مراعاته في
الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة
في ذلك عند ذكر افات النكاح **السابع** ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز
الواجب ويعلم زوجته احكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر ان يقيها النار بقوله قوا انفسكم و
اهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين
ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في
امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع
قبل مجيء الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء العشاء والمغرب فهذا اقل ما تراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها
الخروج لسؤال العلماء فان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك
فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر
ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض او الاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج
الرجل معها وشاركها في الاثم **الثامن** اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج
الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امراة بليلتها
قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان له امراتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ اخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد
شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا
املك يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه
في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عائشة
رضي الله عنها فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد

رضيتين بذلك فعل نعم قال فحولوني الى بيت عايشة رضي الله عنها ومهما وهبت واحدة ليلة لصاحبتها ورضي الزوج
بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما
كبرت فوهبت ليلتها لعايشة وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسايه فتركها وكان لا يقسم
لها ويقسم لعايشة ليلتين ولساير ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا
تاقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على ساير نسايه فمن ذلك ما روي عن
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسايه في ليلة واحدة وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام
طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ه **التاسع** في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتيم امرهما فان كان
من جانبيهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر
من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر حكما الى زوجين فعاد
ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل واحسن النية
وتلطف بهما فاصلح بينهما واما اذا كانت من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يوذبها ويحملها على الطاعة
قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في
المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة الى ثلث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح بحيث
يولمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة
على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت
وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية
الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال
صلى الله عليه وسلم انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن ه **العاشر**
في اداب الجماع ويستحب ان يبدا بسم الله تعالى ويقرا قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم
اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اذا اتى
اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان فاذا قربت من
الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الاية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع
اهل الدار يرفع به صوته ثم لينحرف عن القبلة فلا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله
بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك السكينة وفي الخبر اذا جامع
احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم
لا يقعن احدكم على امراته كما تقع البهيمة ليكن بينهما رسول قيل وما الرسول فقال القبلة والكلام وقال صلى الله
عليه وسلم ثلث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه اخوه فيرد عليه

كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويونسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان
تقضي حاجتها منه ويكره له الجماع في ثلث ليال من الشهر الاول والاخر والنصف يقال الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي
ويقال ان الشياطين يجامعون فيها ويروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب
الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد التاويلين من قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل
على اهله حتى تقضي هي ايضا نهمتها فان انزالها ربما يتاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في طبع الانزال وطرها
يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها
فانها ربما تستحيي وينبغي ان ياتيها في كل اربع ليال مرة فهو اعدل اذ عدد النساء اربعة فجاز التاخير الى هذا الحد
نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت المطالبة بالوطي
فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا ياتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه قبل الغسل وهو محرم بنص الكتاب وقيل ان
ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحايض ولا ياتيها في غير المأتي اذ حرم غشيان الحايض لاجل الاذى
والاذى في غير المأتي دايم فهو اشد تحريما من اتيان الحايض وقوله تعالى فاتوا حرثكم انى شيتم اي اي وقت شيتم
وله ان يستمني بيدها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المراة بازار من حقوها الى فوق
الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحايض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فان
اراد ان يجامع ثانيا بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول
الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضا اولا وضوءه للصلوة فهو السنة قال ابن عمر رضي
الله عنهما قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضا ولكن فيه رخصة قالت عايشة رضي الله عنها لم يتوضا
كان عليه السلام ينام جنبا لا يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث بعده
ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه ساير اجزايه في الاخرة
فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الاداب ان لا يعزل بل لا يسرح الا الى محل الحرث وهو الرحم بجنابتها
فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كاينة هكذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته
وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قايل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان
هذا القايل يحرم الايذاء دون العزل ومن قايل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما
الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال
يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر وصلوة وللحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه
الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد
لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع

وذلك عند الإمناء في الرحم وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر إلى الإنزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع من الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالاستجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب فأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة فتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش فإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض وقال بعض أهل الشرع إن المضغة تخلق بتقدير الله سبحانه من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب والنطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالإنفحة للبن إذ بها ينعقد الرائب وكيف ما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي فإن قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فأقول النيات الباعثة على العزل خمس الأولى في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا غير منهي عنه فإن قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله تعالى حيث قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك للأفضل ولكن النظر في العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول إنه منهي عنه الرابع الخوف من الأولاد الإناث لما في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح وأصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح وكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهة إلى عين النكاح والخامسة أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة فتتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء

المرأة

إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة فإن قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل فإن قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي وإذا الموءودة سئلت وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضا أخبار صحيحة في الإباحة وقوله الوأد الخفي كالشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فإن قلت فقد قال ابن عباس رضي الله عنه العزل هو الوأد الأصغر وإن الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكر عليه علي رضي الله عنه لما سمع وقال لا تكون موءودة إلا بعد سبع أي بعد سبعة أطوار فتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين إلى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الآية الأخرى وإذا الموءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا وفيه أيضا عن جابر أنه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين

الحادي عشر

في آداب الولادة وهي أربعة الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فإنه لا يدري أن الخيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له أو أن يكون بنتا بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال صلى الله عليه وسلم من كان له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرّح أنثى فكأنما بكى من خشية الله تعالى ومن بكى من خشية الله حرم الله تعالى بدنه على النار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله فقال وثنتان فقال رجل أو واحدة فقال أو واحدة الأدب الثاني أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان ويجب

ان يلقنوه اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر الثالث ان
يسميه باسم حسن فذلك حق للولد وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبّدوا وقال احب الاسماء الى الله تعالى عبد الله
وعبد الرحمن وقال سمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم والآن فلا باس
وسمّي رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية
بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء ابيه يقول انت ضيعتني وانت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا
يدرى انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعنبسة وقال صلى الله عليه وسلم انكم
تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فحسّنوا اسماءكم ومن له اسم يكره يستحب تبديله بدّل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان في حياته قال
ابو هريرة كان اسم زينب برّة فقال عليه السلام تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد نهي في اسم افلح ونافع وبركة لانه
يقال ثمّ بركة فيقول لا الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بالشاة ذكرا كانت او انثى
روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين مكافئتين وعن الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن بشاة
وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى
ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر روي انه عليه السلام امر فاطمة يوم السابع ان
يحلق شعره ويتصدق بوزن شعره فضة قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم الخامس ان يحنكه بتمرة
او حلاوة روي عن اسماء انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة
فمضغها ثم تفل في فيه وكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه
وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم

الثاني عشر في الطلاق

وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله وانما يكون مباحا
اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه قال تعالى
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما كان تحتي
امرأة احبها وكان ابي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل
على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما
كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة مهما
بذت على اهله وآذت زوجها فهي فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها
ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان ياخذ اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى لا جناح
عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه وسلم ايما امرأة
سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام وقال المختلعات هن المنافقات ثم ليراع

الزوج في الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام
وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره
فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله سبحانه وتعالى ان يطلق لها النساء
وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط الثاني ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع
بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد
بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم
يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اعني زوجة المحلل بعد ان زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك
ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه لهذه المعاني واعني بالكراهة تركه النظر
لنفسه الثالث ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر
لما فجعها به من اذى الفراق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي
رضي الله عنهما مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل
واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احداهما فنكست راسها وسكتت واما الاخرى فبكت
وانتحبت فسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها
لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل
عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت
الي فاجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي فقال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال والله ما على وجه
الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها فان فعلت خشيت ان
يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك فانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك
فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي
رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل
من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال ولو كنت
بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من اهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي
ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه والقصد
من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
الرابع ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم و
يروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امرأة فقيل له لم طلقتها قال ما لي ولامرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج

القسم الثالث

القسم الثالث من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع
رق وهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم
حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل خرج
الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال صلى الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال اطيعي زوجك
فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله تعالى قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال صلوات الله
عليه وآله اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة
الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن
لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم
يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء
فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عايشة
رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق
الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت حق شكره قالت فلا اتزوج قال بلى تزوجي
فانه خير وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة ايم واريد
ان اتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن
حقه ان لا تعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه
فان فعلت جاعت وعطشت لم يتقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع
الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه
عليها وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها
افضل من صلاتها في المسجد وصلوتها في بيتها افضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها
في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المراة عورة فاذا خرجت استشرفها
الشيطان وقال ايضا للمراة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر القبر العشر
عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة
بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا
خرج من منزله تقول امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل
من السلف

من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته
عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسماعيل احمد بن ابي
الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك
وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا
الى الله فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج
احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها
فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان وتزوجت
عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه
تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان اطعمت
عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها
حسن المعيشة وآداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بن خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج
انك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكون
لك سماء وكوني له مهادا يكون لك عمادا وكوني له امة يكون لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك
ان دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا
ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب واني رايت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا
لم يلبث الحب يذهب والقول الجامع في آداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها
لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في
غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه
مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او
يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همتها اصلاح شانها وتدبير
بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم
تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ومقدمة حقه على حق نفسها
وحق ساير اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة

للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الخلق ورد مراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم انا وامرأة سفعاء الخدين
كهاتين امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل آدمي
دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه
امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك
ومن آدابها ان لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري بزوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية
فاذا انا بامرأة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت
مثله فقالت يا هذا اسكت اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي اسأت فيما
بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها
قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت ولله مني جانب لا اضيعه وللهو
مني والبطالة جانب ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب
والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما
هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر
من اربعة اشهر وعشرا وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت
به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلثة ايام الا على الزوج اربعة اشهر وعشرا و
يلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا بضرورة ومن آدابها ان تقوم
بكل خدمة في الدار تقدر عليه فقد روي عن اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في
الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه وكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه
واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني
سياسة الفرس فكانما اعتقتني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسي فقال عليه السلام
اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد
علي من ركوبك معه تم كتاب النكاح

تم كتاب النكاح وهو الثاني من ربع العادات

ويتلوه كتاب آداب الكسب والمعاش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين والحمد لله حق حمده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شيء ما سوى الله (واحدهم)
باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ونشكره اذ
رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا
والنهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله
الذي يصدر المؤمنون من حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في
نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم كثيرا اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل
الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا (الحق)
مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها
والناس ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين و
الاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من
لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في
طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب

١٧١

اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها
معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب
المعيشة وقال التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من طلب
الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر

وكان صلى الله عليه وسلم جالساً مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكّر يسعى فقالوا ويح
هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه
ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف
ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي
الخبر ان الله عز وجل يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق
وروي ان عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم شيئاً يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيئاً يبعدكم
من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفساً لن تموت حتى تستوفي
رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب امر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره
ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله عز وجل فان الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله
عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى فمن اتاها اصاب منها وقال عليه السلام لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير
من ان يأتي رجلاً اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه او منعه وقال من فتح على نفسه باب المسألة فتح الله عليه سبعين
باباً من الفقر **واما** الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه
ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلث
استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء
لا تمطر ذهباً ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال عمر رضي الله عنه اصبت استغن عن الناس
يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكرام على
الاخوان ذو المال وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغاً لا في امر دينه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم
عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد يأتيه
الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال
عمر رضي الله عنه ما من موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم
ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من
سؤال الناس وجاءت ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم ابن ادهم ما ترى هذه الشدة فقال
هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني

من السؤال

الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا
رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله عليه السلام حين
ذكر الطير فقال تغدو خماصاً وتروح بطاناً فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك
احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال
له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني ان من وقف موقف مذلة في
طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن
ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادي يوم القيامة اين بغضاء الله في الارض
فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه
عن ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين
ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي
اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجاً او غازياً او عامراً لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجراً ولا خائناً فالجواب
ان وجه الجمع بين هذه الاحاديث تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقاً من كل شيء ولكن التجارة
اما ان تطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال
وادخاره لا للتصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان
مع ذلك خائناً فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا يموتن تاجراً ولا خائناً واراد بالتاجر طالب الزيادة
فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففاً عن السؤال
افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان
حاله ومنادي بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية
وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال و
المكاشفات او عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم
او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون
من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المسبلة على الفقراء والعلماء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال
بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من
التاجرين لانه كان جامعاً لهذه المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر رضي

بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك
اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه رأى في الابتداء اولى ولهولاء الاربع حالتان اخريان احديهما ان يكون
كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سوال فترك
الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وافضل لهم
الحالة الثانية الحاجة الى السوال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السوال وذمه يدل ظاهرا
على ان التعفف عن السوال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى
اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السوال من المذمة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل و
الالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في
اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه بادنى تعريض في السوال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل
المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوي لا تحيط بتفاصيل الصور و
دقائق الاحوال ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد في ليلة ومن له ثلثون
ولقد كانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم وكان قبولهم لمبراتهم
خيرا مضافا لهم الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطي مهما كان الآخذ يستعين به
على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه
ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته هذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة
امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدئ بذكر
اسباب الصحة في الباب الثاني

الباب الثاني

في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات
التي هي مدار المكاسب في الشرع

اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على
كل مسلم وانما طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات
المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسال فانه اذا لم
يعلم اسباب الفساد بعلم جلي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسوال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان
يقع لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود
فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور
وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار

بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربوا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة
لا تنفك المكاسب عنها وهو البيع والربوا والسلم والاجارة والشركة والقراض ولنشرح شروطها

العقد الاول البيع

وقد احله الله وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ الركن الاول العاقد ينبغي للتاجر
ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح
بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي رحمه الله وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة اليهما فضاع في
ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب
وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السيد في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون
في الشراء لسيده والبيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده
باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه ان ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس
له الا المطالبة به اذا اعتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا
ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه
بقيمته وما سلمه ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد
المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه واما
الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل من كان اكثر
ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئا لاجل انها حرام الا اذا عرف بعينه انه حلال وسياتي تفصيل
ذلك في كتاب الحلال والحرام

الركن الثاني

في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين
الى الآخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير
ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع العاج والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا
يطهر عظمه بالتنقية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وان كان يصلح
للاستصباح او طلاء السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه
فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان
ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها
اذا انفصل من الظبية في حالة الحيوة والثاني ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفار والحية ولا التفات
الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة
والنحل والفهد والاسد وما يصلح لصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطي وهو الببغاء

والطاوس والطيور المليحة الصور وان كان لا يوكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما
الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير و
الملاهي فانه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين والحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان
فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار يتسامح بها واما الثياب والاطباق التي عليها صور الحيوانات يصح بيعها
وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها اتخذي منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة
ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه **الثالث** ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد
او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف
العقد فلا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه
لو عرف رضي به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يجري في الاسواق فواجب على العبد
المتدين ان يحترز منه **الرابع** ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا
لا يصح بيعه كالابق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن
في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف و
المستولدة فلا يصح بيعها ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه
تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع **الخامس** ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف
اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب
التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذ من
اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف
الشيء او عشره فان ذلك جايز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا
الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل وان قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم
يكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك هذه الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة
من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل
بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم
مقام العيان هذا اسد المذهبين ولا يصح بيع التوزي في المنسوج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة في سنبلها
ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين و
يجوز بيع الباقلى الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح بيع الفقاع لجريان عادة الاولين ولكن نجعله اباحة بعوض فلو
بحمام

اشتريه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما
يستتر خلقة **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما اشتريه وباعه قبل القبض فبيعه باطل
وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله فاما بيع الميراث و
الوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جايز قبل القبض

الركن الثالث

لفظ العقد فلا بد من جريان ايجاب وقبول متصل بلفظ دال على المقصود منهم اما صريح او كناية فلو قال اعطيتك
هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او
دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما تختاره فلا
ينبغي ان يقرن بالبيع شرط على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيئا اخر او ان يحمل المبيع الى داره او اشترى
الحطب بشرط النقل الى بيته كل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره على النقل باجرة معلومة مفردة عن الشراء للمنقول
ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد بيع عند الشافعي رضي الله عنه اصلا وانعقد
عند ابي حنيفة رحمه الله ان كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسر فان رد الامر الى العادات فقد جاوز
الناس المحقرات في المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز باخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله
الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويسلمه الى البزاز فيأخذه
ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض
متاع قيمته مثلا مائة دينار فيمن يزيد فيقول هذا علي بتسعين ويقول الاخر علي بخمس وتسعين ويقول الاخر بمائة فيقال له
زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من غير ايجاب وقبول فقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل
العلاج اذ الاحتمالات ثلثة اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه
وقد احل الله البيع والبيع اسم الايجاب والقبول ولم يجر ولا ينطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسلم فبماذا
يحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع
فيها اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع الاحتمال الثاني
ان يسد الباب كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات
معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل
ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني ان
الناس الان قد انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البايع قد ملكه بالمعاطاة

فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك الاحتمال الثالث ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال ابو
حنيفة رضي الله عنه وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل نقل وجه الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب
ابن سريج الى تخريج قول الشافعي على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لمسيس
الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما
الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير
فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود
في المحقرات التي لا يعتاد فيه الا المعاطاة وطلب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك
ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير ولا وجه له فهذا طرف في المحقرات الطرف الثاني الدواب والعبيد
والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها وبينهما اوساط متشابهة
يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك
ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل
باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع
دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا
من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة
ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه
كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع
الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البائع قد ملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف
تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء
محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن
ومن الفعل ممكن فان قلت ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم
ان اصحابها يكتفون بالمعاطاة او سمع منهم ذلك او رآه اتجب عليه الامتناع من الاكل فاقول يجب عليه الامتناع
من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب الامتناع منه
فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر
نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي
في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك هذا الطعام او تطعم من اردت

ان زاد الكلام

فانه يحل له

فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه
عندي ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل
قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك
ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفه الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال
عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفي دينه مما سلم اليه فليأخذ بحقه لكن على الاحوال
جانب البائع اغمض لان ما اخذه فقد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا اتلف عين طعامه في يد المشتري
ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملكه بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول واما جانب المشتري
للطعام وهو يريد الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساق هذا
ان الضيف يضمن ما اتلفه وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه و
المتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها فالعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون اوردناها و
يمكن بها الفتوى على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه

العقد الثاني عقد الربوا

وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة
المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة
والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس احترازا من
النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النسا ومن حيث ان
الغالب انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه في ثلثة في بيع المكسر
بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه
في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فاذا اختلف
الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة
ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة
عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها
لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج
النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز
شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها
بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقد

النوزه صوتي ابله صورا لمسر
بعز الحي باقر بادم طاقي
النده باكس اوله
اكا فا نلامه درد
قلب ديد كلاي

وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع بالمشتري او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري بها الخبز نسيئة او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار ان يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون ليوخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليوخذ منه الجبن والسمن والزبد وساير اجزاء اللبن فهو حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشي فلا يجوز ان يباع به منه متماثلا ومتفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ومتفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربوا والحرام وهو لا يدري

العقد الثالث السلم

وليراع التاجر فيه عشر شروط الاول ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين الثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما يختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة بالوصف حتى لا يبقى وصف يتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الروية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم او يتاخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا ساير الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب افة فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان

للوصف

التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا البيت او ثمر هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمر بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع ان لا يسلم في شي نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا

العقد الرابع الاجارة

وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور جرت العادة بها وهو كرى الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري ان يصرف الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل وحده ان كان عملا مباحا معلوما يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول شرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه امور خمسة الاول ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف ثيابا او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وبر من الاعيان و ذلك لا يجوز بيعها ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذ البياعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة استيفا عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه واجارة المواشي للبنها واجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم وغيره وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع

عليهما

بسن سليمة او قلع عضو لا يرخص الشرع فى قطعه او استيجار الحايض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش
او استيجار زوجة غيره على الارضاع دون اذن زوجها او استيجار المصور على صور الحيوانات او استيجار الصايغ العير
على صنعة الاوانى من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث
لا تجرى النيابة فيها عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى ساير العبادات التى لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك
عن المستاجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنايز وفى اخذ الاجرة على امامة
صلوة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدى للتدريس او قراءة القران خلاف اما الاستيجار على تعليم مسئلة بعينها
او تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله
بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المساحة وكل ما
يثير خصومة فى العادة فلا يجوز اهمالها وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام
ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان الاستقصا شان المفتى لا شان العوام **العقد الخامس فى
القراض** وليراع فيه ثلثة اركان الركن الاول راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى
العامل فلا يجوز القراض على الفلوس وعلى العروض فان التجارة تضيق فيها ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر
الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة الركن الثانى الربح وليكن
معلوما بالجزوية بان يشترط له الثلث او النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقى لى لم يجز
اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شايع الركن الثالث العمل الذى
على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها
فيتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه فى التجارة وهو البيع والشراء
فقط وهذه حرف اعنى الخبز ورعاية المواشى ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشترى الا من فلان او لا يتجر الا فى الخز وما يتبع من ضرورتهما
الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف
الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فان انفسخ فى حالة المال كله نقد لم يخف وجه القسمة وان
كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرد الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم
يلتزم شيا وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راى المالك الا اذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح يلتزم
على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل
ربحا فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهما تعريف قيمة المال
لاجل الزكوة فاذا كان قد ظهر فى الربح شى فالاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس

للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه ضمن الاعيان والاثمان جميعا لان
عدوانه بالنقل يتعدى الى الثمن المنقول وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما
ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لا يعتاد التاجر مثله على راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير
المعتاد فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد
فى السفر لمال القراض فنفقته فى السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر من المطهرة و
الشفرة وغيرهما **العقد السادس الشركة** وهى اربعة انواع ثلثة منها باطلة الاول
شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك فى كل ما لنا وعلينا ومالاهما متمايزان وهى باطلة الثانية
شركة الابدان وهو ان يتشارطا الاشتراك فى اجرة العمل وهى باطلة الثالثة شركة الوجوه وهو ان يكون
لاحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهى ايضا باطلة وانما الصحيح الرابعة
المسماة شركة العنان وهو ان يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة ويأذن كل واحد منهما صاحبه
فى التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف
على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن المالك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط
النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى
واما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنه المكتسب وغير المكتسب والخلل فيه من ثلثة وجوه من اهمال
شروط البيع او اهمال شروط السلم والاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء للحاجات

كل يوم ثم المحاسبة فى كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضى وذلك مما يرى القضاء باباحته
للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان بالاكل ويلزم قيمته
يوم الاتلاف فيجتمع فى الذمة تلك القيم فاذا وقع التراضى على مقدار فينبغى ان يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا
يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت فى التقويم فهذا يجب المعاملة فان تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوايج فى كل
يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر واذا كثر
كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

اعلم ان المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم
يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى اذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد وهذا الظلم يعنى به ما استضر به الغير
وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل القسم الاول فيما يعم ضرره وهو انواع النوع
الاول الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم فى الشرع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره و
روى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكانما
قتل الناس وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه انه احرق طعام محتكر بالنار و
روى في فضل ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر
فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل
تحته وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل
البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه
امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا فانك
قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا
فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي واعلم ان النهي
مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا هو
معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثالها فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما
يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه
فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت
فيحتمل ايضا اطراد النهي في جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة
سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا
اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر
قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج اضرار فينبغي ان
يقضى بتحريمه وينبغي ان يعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا
يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار
محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار
تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول
خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى
بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى
الغلاء وموت الناس والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا

بالذهب

بالذهب والفضة

النوع الثاني

ترويج المزيف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به
المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم
الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم
شيئا وقال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت
وانفاق الزيف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة
سنة ومائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا
مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسئل
عنها الى آخر انقراضها قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه
وفي مثله قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم في
الزيف خمسة امور الاول انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه
في بيع آخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز الثاني انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه
ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم
نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم الثالث
انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم
على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط الرابع انه ان ياخذ
الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على
طرحه في بئر وان كان عازما على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل
تحت من تساهل في الاقتضاء الخامس ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني
من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه و
قد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد
لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله
وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط
له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك
طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم

التاجر الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنى مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قايم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني و يقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ على العلج ثلث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زايفا لا يكن من هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره ويقيس عليه امثاله

القسم الثاني

ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ان ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره وقال بعضهم من باع اخاه شيا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق فانه ترك النصح المامور في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله على اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيا اصلا وان لا يكتم من وزنها ومقدارها شيا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروة اذا الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهو من الكباير التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر ايضا اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه واذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فاخرج غلامه سفط الخز فنشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده

الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا للثناء على السلعة فمثل هولاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الاخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فراى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثماية درهم فغفل واثلة فذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به ويقول يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البايع ماية درهم فقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضايل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله تعالى مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه للعيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف و قد قال صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدنيا والاخرة والالاف المولفة قد ينزع الله البركة منه حتى يكون سببا لهلاك

مالكه بحيث يتمنى له فلهذا منه ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال
والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة
وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز
العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال
لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم
بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث آخر
من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله تعالى وقال ايضا ما آمن بالقرآن
من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه رأس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع رأس
ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين لو دخلت الجامع وقيل لي من خير
هؤلاء وهو غاص باهله لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم لقلت من اغشهم
لهم فاذا قالوا هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع والصنائع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه
لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها
عيب فبه يتخلص وسأل رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء
ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى
النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما
يحل للرفاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان
ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه
لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا
يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب
نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها
وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر
عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث ان لا يتكلم في المقدار وذلك
بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يتخلص من هذا الا بان
يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من

استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ
نقص نصف حبة واذا اعطى زاد نصف حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السماوات
والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا
يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه
ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة
وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه
السلام لابنه كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث
فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزان يعطي بالجد ويأخذ
بالموفي اشار به الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه
ابعد والتشديد في امر الميزان اعظم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ولا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان
والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو
داخل تحت قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في المكيل ليس
لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان
في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل
ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما
فلذلك يتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم
الف والوف سنين فنسأل الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاستداد على متن الصراط المستقيم
من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز
الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على
الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين
في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا
سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده

مدا وإذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوت في القدر وكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل الرابع
أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش أما تلقي الركبان
فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاه
فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار
وإن كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد وهو
أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعها فيقول له الحضري اتركه عندي حتى أغالي في
ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لعموم النهي ولأنه تأخير
للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى عن النجش وهو أن يتقدم على البائع بين يدي
الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم يجر
مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات
الخيار لأنه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس
البائع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد
للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين أنه كان من البصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر فكتب إليه
غلامه أن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء
وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته فقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين
فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال
إني قد كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله وقد أعلمتني الآن وقد طيبتها
لك فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر إليه من الغد وقال
عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي فأخذ منه ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه
ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار
فإن فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بأن يقول بعت بما قام علي أو بما
اشتريته فعليه أن يصدق ثم يجب أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب ونقصان ولو اشترى بأجل وجب ذكره
ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك
النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أمانته والله المعين على الأمر

الباب الرابع في الإحسان في المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة رأس
المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع
في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم و
يدع أبواب الإحسان وقد قال تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك وقال إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وقال إن رحمت الله قريب من المحسنين ونعني بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه
تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الإحسان بواحد
من ستة أمور الأول في المغابنة فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فأما أصل المغابنة فمأذون
فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد
إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال فينبغي أن يمتنع عن قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبيس لم
يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك
ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الغبن ويروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة
فصل كل حلة منها أربع مائة وضرب قيمتها مائتان فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب
حلة بأربع مائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه فمشى بها وهي على يديه فاستقبله
يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال بأربع مائة فقال لا تسوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذا
تسوى ببلدنا خمسمائة وأنا ارتضيته فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ثم
رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل
الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها فقال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك و

هذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وقال
الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة رضي الله عنهم ما منهم أحد يحسن يشتري لحما بدرهم
فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وإن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان وقل ما يتم هذا إلا بنوع تلبيس و
إخفاء لسعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما نقل عن سري السقطي رحمه الله أنه اشترى كر لوز بستين
دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه فكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين
فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلاثة وستين دينارا فقال الدلال وكان من
الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين فقال
وأنا عقدت بيني وبين الله تعالى أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا

هو بائعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال ويروى عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقاق
بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي
المشتري طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت
فقال وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشرات
بدراهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة
فانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي
به في البوادي إذا قحطنا فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفا أو واحدا على ما جرت به العادة في
مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر
البركة كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق
تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك فقال ثلاث ما رددت ربحا
قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها باع كل عقال بدرهم
فربح فيها ألف درهم وربح من نفقته عليها ليومه ألف درهم الثاني في احتمال الغبن المشتري إن اشترى طعاما
من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام رحم الله
سهل البيع سهل الشرى فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محمودا
بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت المغبون لا محمود ولا مأجور وكان
إياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبني ولا
يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبي يعني معوية بن قرة فالكمال في أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف
بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهم من
خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك
على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يعطي فضله وإن المغبون يغبن عقله وقال بعضهم
إنما أغبن عقلي وبصري فلا أمكن الغابن منه وإذا وهبت فأعطي لله تعالى ولا أستكثر له شيئا الثالث
في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير
ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل
البيع سهل الشراء سهل القضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم اسمح
يسمح لك وقال عليه السلام من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت

ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة
فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتياني سامحوا الموسر وأنظروا
المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له وقال صلى
الله عليه وسلم من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل
يوم مثل ذلك الصدقة وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضي غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق الدين
بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر
فقيل في معناه إن الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض إلا محتاج ونظر النبي
صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا بدين فأومى إلى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم
فأعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى القرض وروي أن الحسن باع
بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة فقال له
فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن
فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا
الرابع في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي
إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم أحسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه
ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من
ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف
يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف فليحتمل
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل
الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به أصحابه فقال دعوه فإن لصاحب الحق
مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر من المتوسط إلى من عليه الدين
فإن المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يقرض عن حاجة وكذا ينبغي أن يكون الإعانة للمشتري أكثر فإن
البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن إلا أن يتعدى من عليه الدين
حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه وإعانة صاحبه إذ قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما
فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك إياه من الظلم نصرة له الخامس أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل
إلا متندم مستضر بالبيع فلا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم من أقال

نادما صفقته اقال الله تعالى عثرته يوم القيمة او كما قال السادس ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء
بالنسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له
دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهولة فيها اسماء من لا يعرف من الضعفاء والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى
الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول
خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل يعد من الخيار من لم يثبت اسمه في الدفتر
اصلا ولم يجعله دينا ولكن يقول خذ منه ما تريد فان يسر لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق اصلاً
تجارات السلف وقد اندرست والقائم به محي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن
دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى
الدرهم فانظر غيه او ورعه ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه
في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ايتني بمن يعرفك فاتاه برجل
فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر
الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع
الرجل فقال لا قال اظنك رايته قائما في المسجد يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى قال
نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك والله اعلم والتوفيق

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته

لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته
من الربح في الاخرة لا يفي بما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق
على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف اولى
الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل احمده عاقبة في الاجل وقال معاذ
بن جبل رضي الله عنه في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة احوج فابدا
بنصيبك من الاخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك
من الدنيا اي لا تنس نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة وفيها يكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر الدنيا
على دينه بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو به الاستعفاف
عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية
العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب لنفسه ولينو

اتباع طريق

اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا في طريق الاخرة فان استفاد
مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الاخرة الثاني ان يقصد القيام في صنعته وتجارته بفرض
من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق فانتظام
امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت
البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة اي اختلاف
هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب
التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما
في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع ليزخرف بها الدنيا
فكل ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي والالات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك
من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب
الذهب وخواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا
الزكوة فيها وان كنا لا نوجب الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهياة للنساء
لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام و
بيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ويكره ان يكون جزارا
لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما
في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن
الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر
في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب
وكرهوا شراء الحيوان لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة
وخلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقايق الربوا عسر ولانه عسير
طلب لدقايق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة
معاملة بدقايق النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدراهم الصحيح
والدنانير الا عند الشك في جودته او عند ضرورة قال احمد بن حنبل رحمه الله ورد نهي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بها

ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ان لم يكن فيها ايمان وقد روي
خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز
ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كانت غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز
والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة
صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال
كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواصفة واستثن الحواشي وظهور
الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراي الحاكة والقطانون والمغازليون
والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفى العقول يضعف
العقل كما ان مخالطة العقلاء يزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى عليه السلام
بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء
وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات
وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان حكم بصحة
الاستيجار عليه وكذا تعليم القران وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للاخرة فاخذ الاجرة
عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة فلا يستحب ذلك **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة
واسواق الاخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة
وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق
لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم
لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار واخره للآخرة والوسط
للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر بكرة
ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله تعالى عنه ما بينهما
من سيء الاعمال وفي الخبر يلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى
كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله سبحانه اشهدكم
اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن
مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبير مع الامام في اول الوقت لا يوازيها الدنيا
بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون

ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة فكانوا يستاجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان
ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع انهم كانوا حدادين وخرا زين
فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة
ورمى بها وقام الى الصلوة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل
بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق بين الغافلين افضل قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين
كالمقاتل عن الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال
صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو
حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد
الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله
في السوق يجيء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله
له بعدد اهلها وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق
ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني
كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب
عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد
وياخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثماية
ركعة وثلثون الف تسبيحة قال فسبق لي وهمي انه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية
لا للتنعم في الدنيا فان من يطلب الدنيا للاستعانة على الاخرة كيف يدع ربح الاخرة والسوق والمسجد خاصة
والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى
لا ينقطع عن المتجردين للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبه يكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم
وربحهم وقد قيل من احب الله عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش **الخامس**
ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر
في التجارة فهما مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا تركب البحر الا لحج او
عمرة او غزو وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فان بها
باض الشيطان وفرخ وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان ابليس يقول لولده
زلنبور سر بكتائبك فأت صاحب الاسواق زين الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل

وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحوا السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابرهيم بن بشار قلت لابرهيم بن ادهم امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا يفوته وتطلب ما لا يفوتك اما رايت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت بلى ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه امرها سال عنه حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذى فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسال النبي صلى الله عليه وسلم عن اصل الشيء واصل اصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فانه عليه السلام كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه معين بذلك على الظلم وحكي عن رجل انه تولى عمل سور لثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك من عمل الخيرات بل من فرايض الاسلام لكن كان الامير الذي تولى عن جهته من الظلمة فسالت سفيان فقال لا تكن عونا لهم على قليل وكثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت بقاء من يعصي الله تعالى وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وفي الحديث ان الله تعالى ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام وقد دخل سفيان على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني باي شيء تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب اولا حتى انظر فيه فهكذا كانوا يحترزون

عن معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان يجتنبه ذو الدين ما وجد اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في هذا الزمان فقال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي ان اعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى وقت آخر فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب هذا ايضا وكانه قد كان الذي كان يحذر ان يكون انا لله وانا اليه راجعون **السابع** ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيمة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت له ماذا فعل الله بك فقال نشر علي خمسون الف صحيفة فقلت اهذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس عدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من اول المعاملة الى آخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين فان راعى مع ذلك وظايف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم بالصواب تم كتاب آداب الكسب والمعاش ويتلوه كتاب الحلال والحرام والحمد لله وحده

كتاب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سايغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال فلقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال وضيق عليه عز الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يروج الى اعماق العروق الا الشهوات المايلة الى الغلبة والاسترسال فبقي لما زمت بزمام الحلال خايبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل **اما بعد** فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين ساير الفروض اعصا

على العقول فهما وانقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار بغموض علمه سبيلا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح في سبعة ابواب

الباب الاول في طلب فضيلة الحلال والحرام ودرجات الحلال والحرام

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحرام والحلال

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

الباب السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم

الباب السابع في مسايل متفرقة لله المعين

الباب الاول في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال الله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل آكل الربوا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله تعالى وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله

ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا وروي ان سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا فقال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه عدل ولا صرف فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله تعالى صلاته ما دام عليه وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال وروي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال صلى الله عليه وسلم من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله له ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله تعالى ورعا اعطاه الله تعالى ثواب الاسلام كله ويروى ان الله عز وجل قال فاما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من ربا اشد عند الله من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الآية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة كسب الحلال

واما الآثار فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقالت عائشة انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم

فصل

حتى تكونوا كالحنايا ما يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز وقال إبراهيم بن أدهم لم يدرك من أدرك إلا من
كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين
وقيل لإبراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من أنفق من
الحرام في طاعة الله كان كمن طهر ثوبه بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال
يحيى بن معاذ رحمه الله الطاعة خزانة من خزائن الله تعالى مفتاحها الدعاء وأسنانها لقمة الحلال وقال ابن عباس
لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام وقال سهل التستري رحمه الله لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون
فيه أربع خصال أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر
على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا في سنة أو
ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رضي الله عنه رد درهم من شبهة أحب إلي من أن أتصدق
بمائة ألف درهم ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف وقال بعض السلف إن العبد يأكل أكلة
فينقلب قلبه فينغل كما ينغل الأديم فلا يعود إلى حاله أبدا وقال سهل من أكل الحرام عصت
جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم ومن كانت طعمته من الحلال أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات
وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن أقام
نفسه مقام الذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر وروي في آثار
السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فإن كان معتقدا لبدعة
فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين
العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار المشهورة عن علي وغيره إن الدنيا
حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب وروي أن بعض الصالحين دفع طعاما
إلى بعض الأبدال فلم يأكله فسأله عنه فقال نحن لا نأكل إلا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم
حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من
علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فإني أصوم الدهر وأختم القرآن
في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي شربتها أحب إلي من ثلاثين ختمة في
ثلاثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته لبن من ظبية وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين
رضي الله عنهما صحبة طويلة فهجره أحمد إذ سمعه يقول إني لا أسأل أحدا شيئا ولو أعطاني الشيطان لأكلته

حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل
الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر إنه مكتوب في التوراة من لم يبال من أين مطعمه
لم يبال الله من أي أبواب النار أدخله وعن علي رضي الله عنه أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما
إلا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة
رضوان الله عليهم فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلي إلا أني لا آكله لاختلاط رطب
مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز فقال وما سببه
قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان رضي الله عنه قتلت الرجل فقال ابن المبارك
ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله علي أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه وكان يشرب اللبن
فأتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وأنه من أين لهم فذكرت فلما أدناه من
فيه قال بقي أنها من أين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه حق
فقالت أمه اشرب فإن الله تعالى يغفر لك فقال ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرته بمعصيته
وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل ويبكي
كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة فهكذا كانوا يحترزون من الشبهات

أصناف الحلال ومداخله

اعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى
بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها ولا يأكل
من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في
كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل
في جهة اكتسابه

القسم الأول

الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله
أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين
وغيرهما أو من النبات أو من الحيوان فأما المعادن وهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله
إلا من حيث يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان يضر لحرم أكله والطين الذي يعتاد
أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنها لا تحرم مع أنها لا تؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقة أو
طعام مائع لم يصر به محرما وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فمزيل العقل
البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكأن مجموع
هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة

شرف گوهر بنی آدم

فتبارک الله احسن الخالقین





فقد عرفت حال ما نحن فيه فانه امر مستند الى علما المجتهدين وفضلا المعتمدين المشهود لهم بالفضل الفاضل
الائمة الافاضل خصوصا منهم الشيخ العالي الامام الغزالي فان قوة اجتهاده مشهورة بين الفحول ومذكورة
في كتب في مسلمات كتب الاصول قال المولى صار ويعقوب في خاتمة اشراق التواريخ بعد
ذكر الانبياء عليهم السلام وذكر اوصاف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان اخلاقه واوصاف
آله واصحابه الكرام وارباب المذاهب واصحاب الحديث داولى التصانيف المتقدمة ولنختم
الخاتمة بخاتم المجتهدين امام ائمة الدين هادي دعاة المسلمين محمد بن محمد الغزالي الطوسي رضي الله عنه و
ارضاه فانه كان عالما كاملا عاملا لم يُر مثله في عصره ولا بعد انقضاء دهره قال في جامع الاصول في
احاديث الرسول هو اوحد الدهر وفريد العصر في علوم الشريعة على اختلافها وتنوعها ذو تصانيف
الشريفة والتاليف اللطيفة التي لم يُر قبله مثلها في كل فن من فنون العلوم الشرعية والطريقة اخذ الفقه
عن امام الحرمين الجويني ولقي العلماء والمشايخ والزهاد واصحاب الطريقة وبلغ من الدنيا والجاه ما لم يبلغه احد
من العلماء والفضلاء ثم ترك الجميع زهدا فيه ورغبة فيما عند الله فبلغ في ذلك درجة عالية ورتبة وافية
درس بخراسان والعراق والحجاز والشام ثم عاد الى خراسان ومات في جمادي الاخرة سنة خمس وخمسمائة
ودفن بطوس رحمة الله رحمة واسعة واوصل الى درجة رافعة ونفعنا وجميع الطالبين ببركة النافعة اللهم
ارحمه وجميع من تقدمه وتأخر منه من العلماء الكرام والفضلاء العظام وجميع الخواص والعوام من اهل الايمان
والاسلام يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام تم كلامه رحمة الله عليه رحمة واسعة ونقل المولى الخبير الشهير
بن سنيه علي عن الراغب الاصفهاني عن الامام انه ذلي سلمه الله وكرمهم بلطفه العلي ما عامل اولياءه بالجود
الخفي والجلي انه قال اضطجعت في المسجد الاقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير افواجا افواجا فقلت ما هذا الجمع فقالوا
جميع الانبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا في حق حسين بن الحلاج لاساءة ادب عند محمد صلى الله عليه وسلم
ونظرت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا محمد عم جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء عليهم السلام على الارض جالسون
مثل ابرهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى نبينا عليهما السلام وقال له انك
قلت علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فارنا منهم واحدا فقال هذا واشار الى الامام الغزالي رحمة الله عليه فسأله
موسى عليه السلام سؤالا فاجابه بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى عم بان الجواب ينبغي ان يطابق السؤال و
السؤال واحد والجواب عشرة فقال الغزالي لموسى عليه السلام هذا الاعتراض وارد عليك ايضا حين سئلت
وما تلك بيمينك وكان الجواب عصاي فعددت لها اوصافا كثيرة قال فبينما انا متفكر بجلالة قدر محمد صلى الله عليه
وسلم وكونه جالسا على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الارض اذ رفسني اي ضربني شخص برجله
فتحركت فانتبهت فاذا بقيم يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره فخررت مغشيا
عليه فلما اقاموا الصلوة افقت وطلبت القيم فلم اجده الى يومي هذا بيت وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم ولقد صدقنا ان طريقة الامام الغزالي حق مؤسس بالكتاب والسنة وانه
رجل صالح عالم عامل بعلمه لا يعلم احوال احد الا من سلك طريق الحق وجاهد في سبيل الله تعالى لان الذين
كما سبيله لا بعد والخلايق بل بعد د انفاس الخلايق حيث قال عليه السلام الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق